



يحيى بين القدس وليلي

فأهزر كل المزء من صربى لا يرى في وجهه خير وتمس
بصربى صالح ينصلح اذا غفلت ويعفو عنك ان اخطئت

شيماء سبيع تمام

يحيى بين القدس وليلي

لقد خير يحيى بين عشق القدس وعشق ليلي فباتري ماذا يختار ؟!!
كان صاحب يحيى شاب غلبه نفسه وتمكن منه شهوته
فانصرف عن أمور آخرته إلى دنياه وعن التجارة الرابحة إلى
التجارة الخاسرة وعن مدارج العارفين إلى مبادل الخاسرين
الغافلين ولم يكن من قبل هذا حاله
وما كان أحد من أصحابه يظن أنه إلى هذا سيكون مآلـه لأنـه نـشـأ
في طاعة الله واشتهر بورعـه وتقـاه حتى عـرف بين أقرـانـه بـ
"الـعـابـدـ" بل وسمـاه بـعـضـهمـ " حـمـامـةـ الـمـسـاجـدـ"
ولـكـنـ سـبـحـانـ اللـهـ ثـمـ سـبـحـانـ اللـهـ
كيف تـتـغـيـرـ النـفـوـسـ مـنـ حـالـ إـلـىـ حـالـ ؟!
وكـيـفـ تصـابـ الرـوـحـ المـؤـمـنـةـ القـوـيـةـ بـالـهـزـالـ ؟!
كـنـتـ أـغـبـطـ هـذـاـ الفـتـىـ عـلـىـ مـاـ أـوـتـىـ مـنـ وـرـعـ وـتـقـ وـاجـهـادـ فـىـ
الـطـاعـاتـ وـهـوـ فـىـ رـيـعـانـ الصـباـ فـقـدـ حـفـظـ كـتـابـ اللـهـ وـنـالـ حـظـاـ وـافـراـ
مـنـ الـعـلـمـ الشـرـعـىـ وـتـأـثـرـ كـثـيـراـ بـكـتـبـ اـبـنـ الـقـيـمـ رـحـمـهـ اللـهـ
وـكـانـ كـثـيـراـ مـاـ يـقـولـ " لاـ يـفـهـمـ الـمـدـرـاجـ إـلـاـ مـنـ درـجـ "
كـانـ طـوـيلـ الصـمـتـ قـلـيلـ الـكـلـامـ فـإـنـ تـحـدـثـ تـحـدـثـ هـمـسـاـ أوـ مـاـ يـشـبـهـ
الـهـمـسـ وـلـكـنـ حـدـيـثـهـ يـنـفـذـ إـلـىـ الـقـلـبـ،
فـيـهـ الـحـلاـوةـ وـالـطـلاـوةـ يـسـحـرـ السـامـعـ وـيـأـخـذـ بـلـبـهـ وـيـسـتـولـىـ عـلـيـهـ
فـلـاـ يـدـرـىـ أـهـوـ أـسـيـرـ حـدـيـثـهـ أـمـ أـسـيـرـ مـحـدـثـهـ

كان كثيراً ما يجول في المساجد وبعض النوادي والمنتزهات العامة والأسواق يدعو إلى الله فيجتمع إليه كثير من الناس يسمعون حديثه العذب كأن على رؤوسهم الطير، وكثيراً ما كان يوزع الأشرطة الوعظية النافعة على الناس حتى أحبوه وضربوا فيه أمثلة الأدب والخلق وكان قد أسر بأحاديثه هذه الفتاة التي يقع بيتها في نهاية الشارع الممتد من سوق الملابس قريباً من بيت أبي عبدالله القحطاني الذي لم تفته صلاة الفجر جماعة منذ 40 سنة

كانت هذه الفتاة جميلة للغاية كان يحيى كما ينقل الثقات لم يتأمل وجهها في حياته قط وكان كثيراً ما يقول :

"رب نظرة أورثت في القلب ألف حسرة" ويتمثل بقول الله تعالى : "قُلْ لِّلَّمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَخْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَنَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَضَعُونَ"

والله إنني لفي حيرة !!

كيف استطاعت هذه الفتاة أن تسحره وتستولي على قلبه وتسلبه عقله ولبه ؟ ولكن نعود بالله من فتنة النساء وإنما سنذكرها كلها من البداية إلى النهاية

وهي الحق يقال لو اطلع عليها البشر ل كانت عبرة لمن يعتبر في مساء كل خميس من كل أسبوع كان يعقد في بيته عماد الواقع في زاوية حي الوفاء قريباً من المدرسة كان يعقد فيه مجلس للطرب واللعبة والغناء وكان يحضره بعض شباب الحي منهم حسن وأسامي و Mageed وغيرهم ممن لا أتذكر أسمائهم

وقد تأخر ذات يوم عن الحضور في الوقت المعين أسامي وعندما حضر بادره الجميع بقولهم : أين كنت ؟

فأجابهم وهو يتخفف من بعض ملابسه وعلامات التأثر بادية علي وجهه : التقيت هذه الليلة بيحبي

سرت في نفوس الحضور هزة خفيفة وساد المكان سكون شامل ثم تابع أسامة قائلاً : التقيت به في السوق المركزي وهو يحمل معه كتاباً قد اشتراه من مكتبة الهدایة بدأني بالسلام وقال : أين أنت يا أسامة ؟ لم نرك في المسجد منذ شهور طويلة . فابتسمت حياءً ثم اعتذرت قائلاً : أنت تعلم يا يحيى الإختبارات على الأبواب وهذه هي المرة الثانية التي أرسب في مادة الأحياء ولابد أن أنجح هذه السنة حتى لا أفصل من المدرسة ابتسם يحيى وهو يشير إلى المسجد ويقول : النجاح يبدأ من هنا . ثم وقف ينظر إلى فشعرت أن نظراته تغوص في أعماق وتكشف المكنون في صدرى ثم قال : أنت تعلم يا أسامة أني أحب لك الخير فاتق الله واجتنب المعاصي ثم تابع قائلاً : الناس في غفلة هل تعلم متى ينتبهون ؟ فلما لم أجب مضى يقول : عند الموت فارتعدت فرائصي من مواعظه وأطرقته لا أعرف ما أجيب ثم مضى وهو يدعو لي بالهدایة

إلتفت عماد وكان حاضر النكتة سريع البديهة يتقن أربع لغات من كثرة ما سافر إلى أوريا وتايلاند والفلبين وكان يتحف الحاضرين بما رأى في تلك البلاد ابتسם عماد ابتسامة ماكراً و قال وهو يضحك : سياتيكم يحيى

إلتفت الحضور جمِيعاً إلى عماد لمعرفة ما يدور في ذهنه أكمل : سياتيكم يحيى ولكن هذه المرة ليس واعظا وإنما .. وأشار بيده كأنه يعزف على العود

ثم قهقه وجلس على الأريكة المركونة عند التلفاز نهض ماجد وهو يضحك وأخرج خمسمائة دينار وضرب بها على المنضدة وهو يقول مشجعاً : ما هاهنا لك إن استطعت أن تفعل .

فصاح حسن : اتقوا الله واتركوا الرجل في عالمه النقي
استرسل عmad ضاحكا وهو يقول : سوف يأتيكم إلى هنا سيعزف
على العود بيده وما أجمل العزف إن كان بيدي عابد
ثم ضحك ضحكة قوية ارتجت لها الغرفة ثم مال وأسر في أذن ماجد
شيئاً وقبل أن يخرج صاح حسن منفعلاً وأخذ يردد :
إن دون الوصول إلى يحيى سبعة أبواب عليها سبعة أقفال من حديد
في ليلة الجمعة جلست ليلى كعادتها تتسامر مع خادمتها خديجة
تبادلان الضحكات وتسردان القصص الطريفة
كانت غرفة الإستقبال مفروشة بالسجاد العبرى الموسى والستائر
خضراء تتخللها خيوط صفراء بلون الذهب والثريا الملونة بألوان
الطيف تتدلى من السقف وهي تتمايل سكري ، فى زوايا الغرفة قناديل
وشموع تزيد من جمال الغرفة تفوح منها رائحة المسك
أخذت ليلى تضحك وهي تقول لخديجة :
هل رأيت أولئك الشباب في الحي المجاور عندما مررنا عليهم
قهقهت خديجة وهي تقول : نعم يا سيدتي لقد ذهلاً من جمالك
الساحر حتى إن أحدهم كان يمشي فلما رأك كاد أن يقع في الحفرة
التي أمام باب المدرسة

- كل شباب المنطقة يتحدثون عن جاذبيتي وجمالى
فقالت خديجة وكأنها تخاطب نفسها : إلا شاباً واحداً
توقفت ليلى عن الضحك وبدت عليها علامات الانتباه وقالت :
ومن هو الشاب الذي يصدأ أمام جمالى ؟
قالت خديجة وهي تتأمل المزهرية الموضوعة على الطاولة :
ليتنى أرزق بابن مثله
قال ليلى باهتمام : من هو هذا الشاب يا خديجه
قالت خديجة وهي لا تزال تتأمل المزهرية : إنه يحيى

وقاربت بين حاجيها وسألتها : ومن يحيى هذا ؟
وأخذت الخادمة تحدثها بكل ما تعرف عنه عن علمه وورعه وزهده
وتواضعه وعن حسن أخلاقه وعدوبه منطقه
وسكتت قليلا ثم أضافت قائلة :

كثيرا ما كنت أراه في الصباح الباكر وهو عائد من المسجد يتربّن
بالقرءان إنه يسكن في البيت الأبيض المقابل للبحر ليت كل الشباب
كيحيى

وقفت ليلي مشدوهة أمام وصف خادمتها خديجة لهذا الشاب المؤمن
فسألتها قائلة : هل هو متزوج ؟

امتعض وجه خديجة وتغير لونها وعرفت ما ترزو إلية ليلي وقالت :
لا سبيل لك إلى يحيى دعيه ودنياه الزكية الطيبة
وانصرفت مسرعة ولكن ليلي استطاعت أن تمسك بيدها ثم قالت لها
بعطف : كلا يا خديجة إنني أريد الهدایة .

فأجابتها خديجة : وما الذي يصدك عن الهدایة ؟
فقالت ليلي وهي تنظر من النافذة تجاه منزل يحيى :
لا إنني أريد أن الهدایة على يديه
أخذت خديجة في الإنصراف وهي تقول :

هذه خطوة من خطوات الشيطان لا سبيل لك إلى يحيى
" يَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْبِعُوا حُطُّوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ حُطُّوَاتِ
الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ "

رفعت ليلي يدها تتحس القبطان اللؤلؤى الذي يزين أذنها ثم نادت خادمتها
خديجة فلما أقبلت طلت منها رقعة ثم كتبت عليها شيئاً وطوطها بعنابة
فائقة ولفتها في منديلها المعطر ثم التفتت إلى خديجة وقالت :
أين نجد يحيى في هذه الساعة ؟

فأجابتها وهي تشير بيدها : قد يكون الآن معتكفا في المسجد ولكن

أفضل وقت بعد شروق الشمس وهو ذاهب إلى جامعته
وقفت ليلى عند الشباك وهي تتأمل منزل يحيى وسيارته البيضاء
الواقفة عند الباب وقد تجمع على زجاجها الندى الرقراق
اقربت منها خديجة وأمسكت بيدها وهي تقول :
لا تفعلى بالله عليك

ولكنها دفعت بيدها يسرى فرنت الأسوره التي تزين يدها وأسرت
في نفسها قائلة : ما عزمت على شئ إلا فعلته

كان من عادة يحيى عندما ينتهي من صلاة الفجر والإستماع إلى
حديث الشيخ أن يقضى فترة من الوقت في قراءة أذكار الصباح
ثم قراءة جزء كامل من القراءان الكريم ثم يصلى ركعتي الضحى
وبعدها يرجع إلى البيت ليأخذ قسطا من الراحة بانتظار طعام الفطور
حتى يذهب إلى كلية الشريعة بنشاط

إذا حان وقت الفطور تناوله مع أمه التي تبدو موفورة النشاط
ضاحكة متفائلة لا تكل عن الحركة وأخته الصغيرة أسماء التي يحاكي
 وجهها استداره البدر ببشرة ناعمة نقية وعينين بلون البن وصفاء السماء
ولم تكن قطتها الكبيرة ذات الشعر الأبيض الطويل تفارقها ساعة من
الزمان فهي تتبعها كظلها أينما ذهبت ولا تفارقها إلا ساعة النوم
أما أبوه فكان يخرج من البيت قبل أن يعود يحيى من المسجد ليذهب
أبوه إلى شركته لمتابعة الصفقات ومراجعة الحسابات لقد كان أبوه
كثير التبرع للمجاهدين والقراء والأيتام والأرامل كان معروفا
بالإحسان عند أهل المنطقة

لقد كان يحيى في غمرة هذا كله متنقلًا من طاعة إلى طاعة
ومن عبادة إلى عبادة فمن بر الوالدين إلى صلة الرحم ومن الإعتكاف
إلى الدعوة ومن قراءة القراءان إلى التصدق ومن طلب العلم إلى حسن.
الخلق لم يكن يحيى يعلم بأن هناك ابتلاء عظيم ينتظره...

واختبار صعب يتربص به ليتحقق وعد الله
" أَلَمْ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنُوا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكُاذِبِينَ "
[العنكبوت 1 - 3]

سنة الله في الكون لا تتغير ولا تتبدل
إن الله سبحانه وتعالى يريد من عبده أن يحاول الصبر
أن يحاول الثبات
أن يحاول الاستغفار
أما المعونة فمنه سبحانه
إن الله سبحانه لا يتخلى عن عبده الضعيف وهو يتخطى في دياجير
الفتن وأمواج الشهوات إنه يمد بحبه المتنين فمن استمسك به
نجا ومن غفل عنه هلك وخسر
ولكن ؟

هل يتخطى يحيى هذا الإختبار الصعب بنجاح ؟!
أم ينكسر به المجداف فيتهي في بحر الظلمات ؟!!

وفي ليلة الأحد كان القمر مكتملًا تحيطه حالة من نور تطفى عليه
جلالا وبهاءا عجيبة والسكون قد عم الحى والكل قد أطfa مصباحه
إلا ذلك القصر الأبيض فالنور لا يزال يشع من تلك الغرفة المطلة
على حديقة القصر إنها غرفة ليلى

لم تدع ليلى خادمتها تنام هذه الليلة من شدة لهفتها على سمع القصة
كاملة

أخبريني يا خديجة ، أخبريني عن كل ما رأيت
نظرت إليها خديجة ببرود وكانت ليلى متلهفة لسماع حديثها
فهزتها قائلة :
ماذا دهاك يا خديجة ؟ تكلمي

فأشاحت خديجة بوجهها إلى ناحية أخرى وقالت :
هل أنت جادة في هذا الأمر ؟

فقطبـت ما بين حاجبيها ونظرـت إليها بعينـيها النـجلـاويـن
وـقالـت تستـنـطـقـها : وماـذا تـظـنـين ؟

فتـنهـدتـ خـديـجـة وـهـى تـرـجـعـ خطـوـة إـلـى الـورـاءـ وـقـد وـقـعـ الضـوءـ القـلـيلـ
الـذـى يـنـتـشـرـ مـنـ ضـوءـ المـصـبـاحـ عـلـى صـفـحةـ خـدـهـاـ الـأـيـمـنـ فـبـدـاـ بـلـونـ الـبـنـ
الـغـامـقـ ثـمـ رـفـعـتـ يـدـهـاـ وـحـكـتـ رـأـسـهـاـ وـقـالـتـ : لاـ أـدـرـىـ وـلـكـنـ ...

ضرـبـتـ لـيـلـىـ الـأـرـضـ بـرـجـلـهـاـ وـقـدـ صـعـدـتـ الدـمـ إـلـىـ وجـنـتـيـهـاـ وـقـالـتـ :
ولـكـنـ ماـذاـ ؟

فـأـجـابـتـ بـصـوـتـ هـادـئـ عـمـيقـ النـبرـاتـ : ياـ سـيـدـتـىـ إـنـ الـوصـولـ إـلـىـ الـقـمـرـ
لـأـهـونـ أـلـفـ مـرـةـ مـنـ الـوصـولـ إـلـىـ يـحـيـىـ ثـقـىـ ياـ سـيـدـتـىـ أـنـهـ لـمـ تـرـ عـيـنـىـ
مـثـلـهـ بـيـنـ الشـبـابـ لـاـ هـنـاـ وـلـاـ هـنـاكـ

وـنـظـرـتـ مـنـ خـلـالـ النـافـذـةـ وـبـقـيـتـ لـحـظـاتـ تـنـظـرـ كـالـتـمـثالـ
أـطـرـقـتـ لـيـلـىـ وـتـغـيـرـ لـوـنـهـاـ وـقـالـتـ بـصـوـتـ كـأـنـهـ اـنـتـزـعـتـهـ مـنـ بـيـنـ آـلـمـهـاـ :
بـالـلـهـ عـلـيـكـ ياـ خـديـجـةـ لـاـ تـحـرـمـيـنـ الـهـدـاـيـةـ عـلـىـ يـدـ ذـلـكـ الشـابـ الـمـؤـمـنـ
ثـمـ تـنـهـدتـ تـنـهـدـةـ عـمـيقـةـ وـقـالـتـ : أـرـيدـ أـنـ أـتـوـبـ عـلـىـ يـدـيـهـ
شـعـرـتـ لـيـلـىـ أـنـهـاـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـؤـثـرـ عـلـىـ خـادـمـتـهـاـ خـديـجـةـ ،
تـبـسـمـتـ لـيـلـىـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهـاـ بـلـطـفـ وـقـدـ لـمـعـتـ عـيـنـاهـاـ عـلـىـ ضـوءـ المـصـبـاحـ
الـذـىـ يـتـسـلـطـ عـلـيـهـاـ ثـمـ قـالـتـ بـصـوـتـ هـادـئـ خـافـتـ وـدـودـ :
وـآـلـانـ حـدـثـيـنـىـ ياـ خـديـجـةـ أـخـبـرـيـنـىـ عـنـ كـلـ شـئـ .

قـالـتـ الـخـادـمـةـ وـقـدـ انـقـادـتـ إـلـىـ لـهـجـتـهـ : رـأـيـتـ خـادـمـ الـمـسـجـدـ الـبـاـكـسـتـانـىـ
يـهـمـ بـدـخـولـ الـمـسـجـدـ فـاـسـتـوـقـفـتـهـ وـأـخـبـرـتـهـ بـأـنـنـىـ أـرـيدـ أـنـ أـقـاـبـلـ يـحـيـىـ
عـلـىـ اـنـفـرـادـ لـأـسـأـلـهـ سـؤـالـاـ فـقـهـيـاـ خـاصـاـ فـأـشـأـرـ بـرـأـسـهـ أـنـ نـعـمـ ثـمـ دـخـلـ
الـمـسـجـدـ اـنـتـظـرـتـ قـلـيـلاـ

وـإـذـاـ بـشـابـ قـدـ أـقـبـلـ مـتـوـسـطـ الـقـامـةـ أـزـهـرـ الـلـوـنـ تـبـرقـ أـسـارـيرـهـ بـنـورـ

جذاب نحيفا تجلله المهابة ويعلوه الوقار يحس بروعته الناظر إليه
أقسم لك يا سيدتي أنني لم أندم في حياتي مثل ندمي هذه الليلة
ندمت لأنني أقدمت في مثل هذه المهمة على هذا الشاب الذي
الذي يعيش في هذه الدنيا ببدنه وروحه معلقة بالآخرة إنه ليس من
النوع الذي تعرفينه لم تر عيني مثله قط لقد تمنيت من كل قلبي أن
لو عدت أدراجي ولم أفاتحه
سكتت خديجة

وعادت تتكلم بصوت خافت مؤثر : لقد ارتفع هذا الشاب بروحه
عن الأرض وأخذت تحوم حول عرش الرحمن حتى كدتأشعر بدفء
الإيمان الذي يخرج من قلبه

كانت ليلي تصغي إليها باهتمام وقد سحرتها بوصفه وملكت عليها
مشاعرها حتى تخيلته ملكا في صورة إنسان
ومضت تستحثها : وماذا بعد ؟ تكلمي
قالت : أرى أن تتركي هذا الأمر

- أتركه ((قالت بدهشة وتعجب))

أبعد كل ما ذكرتنيه أتركه , كيف أترك أمرا بدأته سرت فيه خطوات
فلما رأت إصرارها عادت تروي ما حدث دون أن تعقب على كلامها
الأخير : مددت يدي بالرقعة بتrepid وتخاذل وخجل فتناولها وألقى
عليها نظرة فتغير لونه وصعدت حرارة الغضب إلى رأسه وشعرت
أنني ركبت مركبا صعبا وتمنيت في هذه الساعة لو انشقت الأرض
وابتلعتنى ولكنني أسرعت أقول له قبل أن أسمع منه ما يؤلمنى :
إنها تريد أن تتحدث إليك بمشكلتها يا شيخ إنها لا تريد أن يطلع عليها
غيرك

فرفع رأسه وقد سرى عنه بعض ما به ثم قال : لتكتب مشكلتها
ثم وقع بكلمة واحدة " اكتبها "

أعطانى الرقعة ثم دخل المسجد مرة أخرى
هنا صفت ليلى بيدها ودارت حول نفسها طربا وهى تقول فى نفسها :
لقد وقع الطائر فى الفخ
فى مساء يوم الخميس وكالعادة تجمع ماجد وحسن وأسامة يلعبون
الورق ويشاهدون الفيلم الجديد الذى أحضره لهم ماجد
قال أسامة : لقد تأخر عماد
وما انتهى من كلامه حتى فتح عماد باب الغرفة برفق ثم أطل برأسه
توقف الحضور عن اللعب كلهم ينظر تجاه الباب
دخل عماد وقد قص شعره مارينز مرتدية بنطالا ضيقا وقميصا قد
فتح أزراره العليا لتبدو السلسلة الذهبية التى تحيط بعنقه تتوسط
قطعة مرسوم عليها قلب حب
ابتسم عماد ابتسامة ماكرة وأخذ يلوح بمنديل معطر فى يده ثم
أخذ يضحك ويضحك حتى استلقى على الأرض من شدة
الضحك وسط تعجب الحضور
سؤال ماجد مستغربا : مالك أجننت ؟
لم يتوقف عماد عن الضحك ثم أخذ يقول وهو يلوح بالمنديل :
هذا هو القفل الأول قد انفتح
علت الدهشة وجه حسن
ولم يصدق أسامة أذنيه وبقى ماجد بشعره المجعد وعينيه
الخضراوين ينظر إليه دون أن ينطق
أما عماد فقد أخذ يصفق ويصبح : ألم أقل لكم !!
سيعزف على العود بيده وانفجر حسن وقد التهب وجهه الصغير
بالغضب وضرب بقبضة يده على المنضدة وهو يقول : مستحيل
ألقى عماد الرقعة على المنضدة فتسابقت الأيدي للحصول عليها
والإطلاع على ما فيها كان ماجد أسرع القوم إليها فخطفها

وأخذ يلوح بها وهو يضحك وينظر إلى حسن ويقول :
هذا هو صاحبك قد وقع
و قبل أن يقرأها وبخفة متناهية أدهشت الجميع خطفها عمار
من يده ثم جذب ماجد وذهب به إلى غرفة مجاورة
كان يحيى يتربى العطر الذى يستعمله
و منه يشتري العطر الذى يستعمله
كان حريصا على وضع الطيب فى كل أحيانه لأن النبي صلى الله عليه
 وسلم كان يحب الطيب
 وبعد مضى أسبوعين على محاولة ليلي وفي عصر الأربعاء من نهار
 مشمس جميل أقبل يحيى على محل العطور
 وكان البائع هو محمد سيد خان الهندي المشهور عند أهل المنطقة
 كلها فقد كان خفيف الظل باسم المحييا وكان قصيرا سمينا أهداه
 يحيى كتابا وأشرطة إسلامية بلغته ففرح بها جدا
 كان محمد سيد خان يحب يحيى كثيرا وكان لا يكف عن الحديث
 عن العطور التي يبيعها وأنواعها وجودتها
 وما هي إلا هنيهة حتى أقبلت ليلي معها خادمتها خديجة تسير
 إلى جانبها ووقفت على محل العطور دون أن تلتفت إلى يحيى فهى
 لا تعرفه ولم تره من قبل احتفل البائع بها وأخذ يعرض عليها نماذج
 كثيرة وهى ترفضها بإشارة من يدها
 ولم يبدو على يحيى أي اهتمام بالفتاة ولكنه انتبه بعد ذلك عندما
 سمع محمد سيد خان وهو يعرض عليها نوعا من العطور قائلا :
 إنه أجود أنواع العطور يا سيدتى إن يحيى يستعمله
 أليس كذلك ياشيخ يحيى ؟
 لم يجب يحيى ولم يرفع إليها نظره أما ليلي فقد التفتت إليه
 وقد تفاجأت بذلك

أيكون ذلك الشاب هو يحيى ؟ يحيى نفسه ؟!
غمزتها خادمتها خديجة و كانها تقول لها : هذا هو يحيى
فألقت عليه نظرة سريعة ثم عادت تخاطب البائع وقد غيرت من
أسلوبها و حركاتها وقالت : لقد ذكرت لى مرة أن لديك نوعا من العطر
الكمبودي فهز البائع رأسه وقال بأسف :
لقد نفذ يا سيدتي ، لم يبق منه شئ ، أتدرين يا سيدتي إنه
يستخرج من زهرة الحياة إنها زهرة تنبت على الهضاب الزرقاء
في كمبوديا إن أوراقها تجلب الشفاء إنها
وانتبه البائع إن الفتاة لم تكن تنظر إليه ولا تستمع لحديثه
كانت تنظر خلسة إلى يحيى إلى الشاب الذي ضاق بحديث
محمد سيد خان والذي سمعه منه مرات ومرات
هذا هو الشاب الذي حدثتها عنه خادمتها خديجة إنها لم تتجاوز
في وصفه بل لم تبلغ وصفه
تنحنح البائع وهو يرفع يده يعدل طاقيته وقال : انتظري لحظة
ثم خرج من محله وهو يقول : سأطلبه لك من آخر السوق
وهم يحيى بالإنصرف فلم يكن يرغب في البقاء طويلا في مثل
هذا السوق الذي تتواجد عليه النساء لم يكن يلبث إلا بمقدار
ما يتناول حاجته من العطر ثم يعود سريعا.
إلتقت إليه الفتاة وقالت : إنني متأسفة
ولم يكن قد وقع عليها نظره حتى هذه الساعة
قالت بصوت هامس :
إنني متأسفة لم أستطع أن أكتب مشكلتي ليتك تسمعها .
فغض بصره وتذكر الرقعة التي حملتها إليه الخادمة
وقال : تكلمي .
قالت وبصوت كأنيں الوتر الحزين : الآن

فقال دون أن ينظر إليها أو يرفع نظره مرة أخرى : نعم
قالت وهي تحاول أن تجره للحديث : هنا في السوق
قال : نعم

وعاد العطار وهو يمسح جبينه من العرق وينفس وقال معتذراً :
لم يبق لديه شيء يا سيدتي .

وتنهدت الفتاة وقالت : سأعود مرة أخرى .

ثم انصرفت بعد أن ألتقت على يحيى نظرة جعلته يطرق خجلاً
ثم انتبه يحيى إلى صوت محمد سيد خان وهو يقول :
لم أرى في حياتي فتاة أجمل من هذه

فصاح به يحيى : اتق الله يا رجل لا تستحي من الله
إعلم أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى هذه الفتاة
أطرق محمد سيد خان حياءاً وأحمر وجهه ثم تابع كلامه بلکنة
أعجمية : إنها غريبة جداً

ولما لم يرد عليه يحيى قال متابعاً :

كل شباب المنطقة يتمنون ابتسامة منها ولكنها لا تلقى لهم بالاً
عجب يحيى من ذلك ونظر إلى البائع نظرة المستغرب
علم محمد سيد خان ما يدور في بال يحيى فقال :

صحيح أنها متبرجة ولكنها لا تأبه لهم إطلاقاً إنها تحب الخروج
إلى الأسواق وارتداء أجمل الثياب والتعطر بأجود أنواع العطور
فأبوها حامد العامر المليونير المعروف

لم تتل الفتاة من يحيى إلا كما ينال التراب من السحاب كيف لا وهو
الشاب الذي لم يترك ثغرة ينفذ منها الشيطان إلى نفسه إلا وأغلقها
وعندما عاد يحيى تلك الليلة بعد صلاة العشاء وقبل أن يقف للصلوة
لقيام الليل خيل إليه بأنه سمع همسة أو لحناً أو صوتاً جميلاً
لم يفكر في ذلك طويلاً وإنما انصرف إلى صلاته لا يشغلها شاغل

فالليل مركب الصالحين ومطية العابدين يأنس فيه العبد بمناجاة
ربه الجليل وأقرب ما يكون العبد من ربها في جوف الليل
وبعد أن صلى ثمانية ركعات وختمتها بصلة الوتر استلقى على فراشه
وأخذ يردد بصوت خافت خاسع "بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْثَ جَنْبِي ،
وَبِكَ أَزْفَعْهُ ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَازْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاخْفَظْهَا
بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ "
و قبل أن يلفه النوم في أحضانه تذكر أين سمع ذلك الهمس واللحن
الشارد ، سمعه عصر اليوم في محل العطور نعم سمعه من الفتاة
التي ذكرت أن لديها مشكلة تريد أن تعرضها عليه
وأسرع يحيى فصرف هذه الخواطر وشعر أنها دخيلة عليه ،
دخيلة على محرابه الآمن الذي تعمره التقوى إنها ليست من مدد
السماء وانتقل إلى جو الآية التي كان يرددتها في قيام الليل
"إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَظَعَامًا ذَا غُصَّةً وَعَذَابًا أَلِيمًا *
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا"]
كل هذا العذاب ينتظر الإنسان الضال
كل هذا العذاب ينتظر الإنسان الآبق من رحمة الله
تدحرجت دمعة كبيرة على خده وتبعها سيل من الدموع حتى بللت
الوسادة ثم راح في نوم هادئ عميق
في ذلك الوقت كان شباب الحى قد تجمعوا في مجلس لهوهم
كالعادة ولكن هذه المرة كان الجو هادئا ساكنا كلهم يفكرون في هذا الأمر
الذى طرأ قطع أسامة السكون وقال لعماد :
ألم يقل لك حسن إن دون الوصول إلى يحيى سبعة أبواب
عليها سبعة أقفال من حديد ؟
فقهقه وهو يقول : إننى أملك المفتاح الذى تتتساقط أمامه جميع
الأقفال إنه المفتاح الساحر المفتاح العجيب

ثم أشار إلى بيت ليلي وهو يقول : إنه المرأة
أخذ ماجد يحثه على قول المزيد :

وكيف استطعت الحصول على الرقة ؟ أليك علاقة معها ؟!
تنهد عماد بحسرة وهو يقول : ياليت ، أكثر من أربع سنوات
وأنا أحاول اصطيادها ولكن دون جدو ليلي هذه فتاة عجيبة
غريبة إنها تريد كل الناس يجرؤن خلفها بشوق ثم تتركهم يتبعون
سرابا لا أدري لماذا ؟ لأنها من عائلة عريقة وأبوها مليونير ؟!
انا كذلك أبي مليونير لماذا تعذبنا بالحب والشوق ؟
أهى من النوع الذى يتلذذ بتعذيب الغير

انتبه عماد لنفسه فقد أسرف فى سرد ما يجيشه بخاطره
خاصة وهو يرى ملامح الحضور تتغير فكلهم هذا شعوره
قاطعه حسن قائلا : كيف استطعت الحصول على الرقة ؟
فقال عماد : سائقهم البنغالى صديقى منذ ثلاث سنوات فعندما كنت
الأحق ليلي كان يعطينى أخبارها الخاصة مقابل جزء من المال
أخذ ماجد يضحك ويصفق وهو يقول : كل هذا من وراءنا يا فاشل
تابع عماد كلامه : ولكن يأس منها نهائيا وبقيت حسرة الشوق
تأكل قلبي كما تأكل قلوبكم يا مغفلين
وأخذ يضحك وهو يشير إلى ماجد قائلا :

أتظن أن رسائلك الGRAMMATIC لها كان تؤثر فيها كانت تسجراها فى النار
يا روميو

ثم ارتمى على الأريكة وهو غارق فى الضحك
احمر وجه ماجد ثم قال : كيف علمت ذلك ؟
قال عماد : من السائق البنغالى .

ضحك الحضور واستمروا فى أحاديثهم وضحكتهم حتى أصبح الصباح

وارتفع صوت المؤذن من المسجد القريب يدعوهم إلى الصلاة
فتنهد حسن وقال : هذه ليلة من عمرنا خسرناها
وخرج القوم فردا فردا وكان خروجهم بعد صلاة الفجر بقليل
وسلك كل منهم طريقا غير الذي سلكه صاحبه
خرج يحيى من بيته القريب من شاطئ البحر قبل نداء الفجر
وسار في طريقه إلى المسجد هذه صفحة جديدة قد انفتحت من
سجل الوجود هذا يوم جديد إنه يستمع إليه وكأنه يتحدث إليه
حديث الروح إلى الروح

أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود
كانت الرياح باردة وشديدة تمزق بعض الهدوء المخيم على الكون
وقد أحاطة بالقمر دائرة بيضاء واسعة تحميه من هوج الرياح
كان يحيى يسير ولسانه لا يفتر عن ذكر الله كان يشعر بجلال منظر
الكون وبرهبته تسري في كيانه هذا المنظر يذكره بالأخرة كل شئ
في هذا الوقت يذكره بالأخرة البيوت الساكنة الساكنة والنواخذ
المغلقة والشارع الصامت وترامى إلى سمعه من جهة البحر صوت
رجل ركب زورقا وراح يضرب بمدافنه وينشد نشيدا حزينا تتجاوب
أصواته مع أمواج البحر وتحمله الريح الباردة ويستمع إليه الكون
في صمت خاشع كان يعزف على أوتار قلبه وهو ينشد قائلا :

إذا ما قال لى ربى *** أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقى *** وبالعصيان تأتينى
تالله باب العفو باب واسع *** هو للآلى عکفوا على الأوزار
وبرحمة الغفار أطمع أن أرى *** أبدا بعيدا من عذاب النار
ومضى يحيى يستمع إلى حديث الفجر المضمخ بأنفاس الآخرة
وتعجب كيف ينام الناس في هذا الوقت ؟
كيف لم ينهضوا فيرتشفوا من سر الصباح حياة تعمرا حياتهم

ونورا يضيئ نفوسهم وحكمة تضعهم على باب الحقيقة الخالدة
التي كتب عليها بمداد السماء " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ "

في هذا السكون الشامل والمنظر الرهيب وصوت الفتى الحزين
تذكر يحيى حديث الشيخ عن الآخرة كان ينصرت إليه بكل جوارحه
والشيخ يصف الآخرة وصفاً كأنه رآها بعينيه كأنه اطلع على كل
ما فيها ثم جاء يحدثهم عنها ولسان حاله يقول :

" يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ *
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ "

[غافر : 39 - 40]

لم يرى يحيى الشيخ يبكي في يوم من الأيام ولا يخرج عن حاله
ولكنه كان يشعر من خلال صوته من اهتزاز نبراته من شدة تأثره
كأن الدموع تنزل من عين قلبه كأنه يبكي بصمت أما هو الشاب
المرهف رقيق الحس الذي يتفجر قلبه بالعواطف فلا يستطيع
أن يتمالك نفسه من البكاء كان حديث الشيخ يبدأ بعد صلاة الفجر
وكان لا يزيد على دقائق معدودات كان يهز القلوب يملؤها إيماناً
ويحرك النفوس إلى طاعة الله ويثير لهم إلى السير في طريق
الفلاح كان يبدأ حديثه هادئاً هدوء الفجر طرياً ندياً جميلاً جديداً
جاداً لا يتكلم ولا يأتي بالغرير ولا يذهب مذاهب بعض الوعاظ
والدعاة الذين يتصدقون ببعض الألفاظ الممتلئة ليوصفو بالفصاحة
كانت كلامته تسري إلى نفوس تلامذته فتنجذب إليه تهفو لسماعه
ترغب في المزيد يود الواحد منهم لو يقول له لا تتوقف يا شيخ
لا تنهي حديثك الشيق ولكنهم لم يكونوا يقولونها لأنهم يعلمون أن
الشيخ يرى أن ما حدثهم فيه الكفاية وسوف يواصل حديثه غداً

وفي نفس هذا الموعد كانت قراءة الشيخ وهو يوم المصلين حزينة مترسلة وفي صوته رعشة تهز القلوب كان الجو في هذا المسجد المبارك ممتلاً إيماناً وخشوعاً وسكوناً وطمأنينة وبعد صلاة الفجر جلس الشيخ يتحدث عن يوسف الصديق الفتى الذي ضرب مثلاً أعلى في الصبر عن المرأة المغفرمة العاشقة الولهني وأخذ يصف عفته وثباته وخشيته لله ومراقبته لهومما يزيد في تأثير حديث الشيخ مكانته في نفوس شباب المسجد وسطوع حجته ونبرات صوته وحسن إلقائه كانت عيونه تنطق بالحب لكل واحد منهم كان يشعر كل واحد بأنه يهتم به وحده دون غيره يهتم بشئونه وشجونه فتنفتح نفس الأخ فيصارح الشيخ بما لم يصرح به أحداً من الخلق والشيخ يصفع إليه ثم يشير عليه ويأخذ بيده ليعينه علىمواصلة السير في قافلة الإيمان.

في عصر الثلاثاء ذهب يحيى إلى عيادة الدكتور خالد السلطان بسبب ألم في معدته وجلس في صالة الانتظار قرابة النصف ساعة ينتظر دوره في الدخول كان يقرأ خلالها في كتاب "مشاريع الأسواق إلى مصارع العشاق" لابن النحاس رحمه الله كان يحيى قد أشرع مركبه مبحراً مع ابن النحاس في بحر التضحية والبذل والفاء وبدت على وجهه علامات التأثر خاصة عندما قرأ قصة صاحبة الشكال وأم إبراهيم وبينما هو منسجم مع أسلوب ابن النحاس الرائع إذ بمفاجاة لم تكن في الحسبان !!

كان هناك موعد لـ "ليلي" عند الدكتور خالد السلطان دخلت ليلى وهي تمشي على أطراف أصابعها بثوب طويل أبيض رقراق فلما اقتربت من صالة الانتظار صعقت عندما رأت يحيى موجوداً وهو يقرأ كتاباً في يده

ثم دخلت وهى فى حالة رغيبة رهيبة وخطوات مقبلة مدبرة ونظرة
شهية حية دخلت ليلى حتى إذا توسطت الصالة همست بالسلام
لم يكن يحيى شعر بها وهى تدخل ولكنها عندما سمع صوتها رفع رأسه
فغض بصره وعاد ينظر فى الكتاب المفتوح
جلست ليلى مطرقة كأنها بين يدى مُؤَدِّب ثم رفعت رأسها وتمنت لو
نظر إليها ثم قالت له بصوت دافئ تزيينه بحة لطيفة :
إن خطك جميل جدا

فقال دون أن يرفع رأسه عن الكتاب : ماذا تعنين ؟
فأجابت : ألا تذكر الرقعة التى كتبت فيها بقلمك " اكتبها " ؟
لم يجبها يحيى ، بل راح يتابع قراءته للكتاب وهو يحاول أن يتغافل
عنها وبقيت هى تنظر إليه بخشوع
آه لو كان جميع الرجال مثل يحيى
كانت تريد أن تأسره فإذا بها أسيرة بين يديه ،
أسيرة دون أن يدرى أسرها بها قالت ليلى بصوت حزين :
ها أنا قد كتبت مشكلتى أرجو أن أجد الدواء عندك
ورفع رأسه إليها والتقت العينان مرة أخرى
أحس يحيى بأن سهماً قد دخل فؤاده فمزقه
طاطاً رأسه أحس بضعف فى إيمانه وإزدياد فى نبضات قلبه فقام
من مكانه مسرعاً ومضى يحيى إلى بيته
وفى الطريق أخذ يفكر فى أمر الفتاة :
ما هي المشكلة التى أحزنتها وألمتها ولا تستطيع الكلام بها ؟
واستحضر صورتها الجميلة وهى تهمس بالسلام وصورتها وهى تنظر
إليه وصورتها وهى حزينة إنه لم يري فى حياته فتاة فى مثل جمالها
لقد وقفت على محل العطور وكلمته هناك وقبل أن يصل إلى البيت

تذكر حديث الشيخ ويوف الصديق عليه السلام وخيل إليه
كأنه يسمع الشيخ يحذره فأسرع الخطوة وطرق باب بيته
وفتحت أخته الصغيرة أسماء ونظرت إليه بعينيه الصافيتين ووجهها
البدري وابتسمت لها اللطيفة الهدئة وسألته :
أين كنت إلى هذه الساعة ؟

فاحتضن وجهها الصغير بيديه ثم ربت على شعرها الكستنائي وقال :
هل صليت العشاء ؟

ونفرت من تحت يده كما ينفر الطائر وقالت : نعم
شعر يحيى لأول مرة أن قلبه قد تقدر قليلاً فأسرع يتوضأ ثم وقف
يصلِّي صلاة خاشعة ليغسل قلبه من صورة الفتاة
لقد صدق حسن عندما قال :

إن دون الوصول إلى يحيى سبعة أبواب عليها سبعة أقفال من حديد
ولكن هل تستطيع هذه الأبواب أن تثبت أمام الطرق الكثير والمحاولات
المتواصلة في التغلب عليها

وفي مساء يوم الخميس في الأسبوع الذي تلا لقاء الفتاة بيحبي
في عيادة الدكتور خالد السلطان انعقد المجلس في منزل عماد كانت
غرفة الإستقبال التي أعدت للطرب واللعب والغناء كبيرة واسعة وقد
رتب الأساس بشكل بديع ووقف طير البغاء على رف مرتفع وراح
يردد بعض الأصوات والكلمات التي يسمعها من الحاضرين كان عماد
قد أحضره من جنوب إفريقيا.

كان عماد يروح ويتجوّل وهو يلقى بالنكتة اللطيفة المضحكة فيقهه
ماجد وتطوّق فم أسامة إبتسامة خفيفة
أما حسن فقد جلس كعادته في بدء اللقاء معتمداً على المائدة بمرفقه
محتضنا وجهه براحته وقد خيم عليه ما يشبه الحزن فالتفت إليه
ماجد وقال له :

مالك يا حسن إنك فى كل مرة نلتقي بها تبدأ حزينا كثيبا كأن هموم الدنيا نزلت على رأسك فإذا بداننا الطرب واللهو والأنس كنت أغرقنا لهوا وعربدة

فضحك حسن ضحكة تشبه النحيب وقال وهو يعتدل فى جلسته ويطلق زفراة حارة : كالطير يرقص مذبوحا من الألم
فقال عماد وهو يبتسم إبتسامة المستهزئ :
ومن الذى ذبحك يا حسن ؟

فلم يبدو عليه أنه سمع سؤاله ولكنه أشار إلى ماجد وقال :
اسمع يا ماجد لقد كنت قبل أن التقى بعماد أسيير فى طريق الهدایة
كنت مع يحيى أترنم على مجالس العلم وأصلى الصلوات الخمس
فى المسجد واعتكف فيما بين المغرب والعشاء
وأصوم الإثنين والخميس كانت لا تفوتنى صلاة الفجر فى المسجد
وفى مثل هذا البرد كنت أستيقظ وأتوضا بالماء البارد
وأنا لاأشعر ببرودته لأن حرارة الإيمان قد طفت
على برودة الماء كنت أحيا حياة أخرى أقرب إلى حياة الملائكة ولكن
لما عاد عماد من رحلته من تايلاند تعرفت عليه وخررت بعدها إلى
قاع الذنوب ومستنقع المعاصى

ونكس برأسه وأخذ يعصر يديه بيديه الكل كان يصفى إليه بكل
اهتمام حتى الببغاء كانت تصفع إليه
ومضى في حديثه قائلا :

انقدت إلى عماد بلا تفكير سلمته الزمام فأوردني المورد الحرام.
أتدرى يا أسامة إننا نسير في طريق مسدود ليس له نهاية إلا نهاية
واحدة قال أسامة بهمس : إلى أين ؟
فتنهى حسن وهو يدفع ظهره إلى الخلف وقال : إلى النار

اهتز أسامة لهذه الكلمة وبدت عليه علامات التأثر
ثم شبّك حسن أصابع يديه وأضاف :
إن لم يتداركنا الله برحمته .

نهض عماد وهو ي يريد الخروج من الغرفة وهو يقول مستهزئاً :
إذا انتهيت من وعظك فأخبرني يا إمامنا
وأخذت البيغاء تردد :
يا إمامنا يا إمامنا

ضحك ماجد ضحكة اهتزت لها جنبات الغرفة واكتفى أسامة بابتسامة
على تردید البيغاء أما حسن فقد أراد أن يجيب ولكنه سمع طرقة
خفيفاً على الباب

أسرع عماد نحو الباب ثم فتحه وخرج ثم أخذ يتكلم بصوت لا يسمعه
أحد من الحاضرين حتى خيم على الجميع الصمت رغبة في معرفة
ما يدور خلف الباب

تأخر عماد عند الباب حتى ظنوا أن أمراً مهما قد وقع
اقبل عماد بعد قليل وقد كور يديه وأحاط بهما فمه وأحنى قامته
وأدنى رأسه وقال :
لقد جاء يحيى

هتف الجميع بصوت واحد : من ؟!
قال مرة أخرى وهو يكور يديه ويدينى رأسه وقال بصوت خافت :
لقد حضر يحيى

تغير وجه حسن ونهض منفعلاً وهو يهتف :
عملتها يا عماد

وأشار عماد بيده وهو ينفي ما دار بخلد حسن وقال :
ماذا دهاك يا حسن والله لا أعلم ما الذي جاء به ؟
هذا حسن وسرى عنه بعض ما به ولكنه قال :

إذا أردت أن تدخله فيجب أن أنتقل إلى غرفة أخرى لأنني لا أرغب
أن يراني هنا
قال عماد : كما تشاء .

دخل حسن إلى غرفة نوم عماد مسرعا
خرج عماد مرة أخرى ثم عاد بعد قليل وهو يقدم يحيى أمامه ويرحب
به ترحيبا بالغا ويعذر عن تأخره
ودخل يحيى بسمت مهيب وعينين صافتين ولحية تطوق وجهه
فتطفى عليه المهابة والجمال
سلم يحيى على ماجد وأسامه وصافحهما مصافحة حارة مع ابتسامة
 مليحة فيها عتاب لطيف
ثم جلس على الأريكة وقال :
حقيقة لقد اشتقت إلى زيارتكم وها أنا ذا أحضر هدية لطيفة
لكل واحد منكم ثم أخرج من الكيس أشرطة كاسيت سمعية
للشيخ نبيل العوضى بعنوان الجنة والنار
ثم ردد قائلا : أسأل الله أن ينفعكم بها
وفي صباح السبت وعندما ارتفعت الشمس فى ذلك الصباح الدافئ
خرج يحيى من البيت ولما وصل إلى سيارته وقعت عينه عليها
إلتقي بها وجهها لوجه
كانت تسير إلى سيارتها الحمراء وهى تحمل معها كتبها الدراسية
فهى فى كلية التجارة فى السنة الثانية كانت تبدو عليها الرزانة
واللوكار فلم تلتفت يمينا أو يسارا
ولكنها عندما رأته ألقى عليه نظرة غريبة لم يستطع يحيى تفسيرها
فيها الجرأة والحزن والحياء ومالم يعرفه من معان آخر وأبعدها عن
خاطره خاصة عندما احتوته الجامعة والمواد المكتفة وأخذ الشيخ
عبدالبارى يشرح لهم الطحاوية بأسلوبه الشيق المعتمد حيث تكلم فى

هذه المحاضرة عن مراقبة الله في السر والعلن أطرق يحيى
وعلم أن هذا تنبئه من الله له
أخذ يلهم في الإستغفار ودهش عندما صدفها في اليوم التالي ايضا
كان يتحدث إلى أبي محمد الأنصاري وقد سأله عن سبب انقطاع
ابنه محمد عن حلقة تحفيظ القراءان فأجابه بأن ابنه مريض وأخذ
يتحدث عن ترميم بيته وإصلاح سيارته وكم مرة في الشهر يأخذ ابنه
إلى الطبيب فدعا له يحيى ثم انصرف
وبينما هو راجع إلى بيته دهش عندما سمع صوتا فالتفت فإذا هي ،
هي نفسها ، الفتاة وذهبت بعد أن مست قلبها فغض بصره في الحال
وراح يستغفر لله في سره ثم مضى في طريقه
وأخذ في اليوم الثالث يستعجل أمه في إعداد الفطور وفي كل مرة
ينظر إلى ساعته وانتبه إلى صوت أخته الصغيرة التي كانت تركض
وراء قطتها سألته وهي تركض دون أن تنتظر الجواب :
هل لديك موعد مع أحد ؟
شعر بأن الصغيرة أيقظته فأخذ يلوم نفسه فقد كان يريد التعجل
في الخروج ليراها
حاول أن ينفض ما علق بقلبه من غبار فكتيرا ما يعتنى المرء بغسل
ثوبه وملابسها ولكنه يهمل غسل قلبها هكذا قال الشيخ
تعمد يحيى أن يتأخر أكثر من أي يوم ولاحظت أمه أنه بينما كان
يحتتها على إعداد الفطور بسرعة إذا به يسكت ليتركها تعدد على مهل
قالت له أمه وهي مستمرة في إعداد الفطور : يحيى
أجابها : لبيك أماه .

أكملت أمه قائلة : لا تنس أن تذهب اليوم إلى السفارة الأمريكية
قطب يحيى ما بين حاجبيه وهو يقول : لماذا ؟
قالت : حتى تجدد جوازك الأمريكي أنسنت أنك تحمل الجنسية

الأمريكية إضافة إلى جنسitic لقد ولدت في أمريكا عندما ذهبنا
للعلاج فأعطيت هذا الجواز

أطرق يحيى وهو مغضب : وماذا أريد بجواز هؤلاء الكفار الذين اسندوا
ظهر اليهود لذبح إخواننا في فلسطين

ردت عليه الأم بحنان : يابنى لا تدري لعلك تحتاجه مستقبلا
أجابها يحيى بنبرة هادئة : حسنا حسنا ،
سأذهب إليهم الساعة الثانية عشرة ظهرا

مضى يحيى في الطريق المؤدي إلى البحر ماشيا لم يذهب اليوم
إلى الجامعة أراد أن يظهر قلبه بماء البحر الصافى وكثرة الإستغفار

كانت البيوت تقف على جانب الطريق متصلة بعضها إلا فتحات
قليلة تؤدى إلى البحر وتطل الأزهار الملونة من الشرفات وتبعد الستائر
ذات الألوان الزاهية عندما تفتح البيوت التي تواجه البحر نوافذها
تستقبل الشمس كل شئ جميل إلا ما علق في قلبه النظيف

مضى يحيى سائرا قريبا من البحر كان مرتاح القلب مسرورا لأنه انتبه
إلى نفسه فعالجها وغسل قلبه من صورة الفتاة ومن صوتها

كان معظم المارة يسلمون عليه ويسلم عليهم فهم يعرفونه جيدا
يحيى الشاب المؤمن الطاهر ولكن كثيرا ما يلوم نفسه قائلا :

لو كانت للذنوب رائحة ما جلس من قربى أحد
والتقى في الطريق بالعم أبي عبدالله القحطاني أبيض الشعر واللحية
أحمر الوجه احتفظ باعتدال قامته وشئ من نشاطه كان يستند بيده
اليمنى على عصا غليظة

وقف العم أبو عبدالله القحطاني يسأل يحيى عن حاله وعن والده وأهله
ثم مضى يحده دون مقدمات عن خروجه عام 1963 إلى حدود
فلسطين حيث خرج هو وأربعة من أصدقائه إلى الجهاد في سبيل الله
هنا أخذ العم أبو عبدالله يسعل بشدة حتى تحول وجهه إلى لون الدم

فَلَمَا هَدَأْ ضربَ الأرضَ بعصاه و قال :
أَتَدْرِي مَاذَا حَدَّثَ لَنَا ؟ وَقَدْ تَسَلَّلَنَا لِنَقُومْ بِعَمَلِيَّةِ ضربِ قافلةِ يهوديَّة
مَتَجَهَّةَ إِلَى تلِّ أَبِيبٍ وَلَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ
هُنَّا سَأَلْ يَحِيَّ بِتَلْهَفٍ : مَاذَا حَدَّثَ يَا عَمْ ؟
أَكْمَلَ الْعَمُ قَائِلاً : لَقَدْ أَضْعَنَا الطَّرِيقَ وَدَخَلْنَا فِي حَقْلِ الْغَامِ
اسْتَشَهَدَ اصْدِقَائِيَّ الْثَّلَاثَةَ وَرَجَعْتُ لَوْحَدِي
هُنَّا رَفَعَ الْعَمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَأْسَهُ وَعَصَاهُ وَأَخْذَ يَهُزَّهَا بِشَدَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ :
كَنَا نَحْبُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا يُحِبُ شَبَابُ زَمَانِكُمُ الْكُرْبَةَ
أَطْرَقَ يَحِيَّ رَأْسَهُ حَيَاءً وَهُوَ يَقُولُ : صَدِقْتُ يَا عَمْ
مضى الْعَمُ الْقَحْطَانِيُّ فِي حَدِيثِهِ الْغَاضِبِ :
شَبَابُ هَذِهِ الْجِيلِ غَرَقَ فِي الشَّهَوَاتِ وَنَسِيَ أَرْضَ الإِسْرَاءِ
وَبَيْنَمَا كَانَ يَحِيَّ فِي اِنْسِجَامِ تَامٍ مَعَ الْعَمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَسْتَمْعُ
إِلَى قَصْصَهُ الْعَجِيْبَةِ وَنَقْدَهُ الشَّدِيدِ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا كَالْلَّهُنَّ الشَّارِدِ يَقُولُ :
إِنَّهُ لَا يَرِيدُنِي
وَالْتَّفَتْ بِحَرْكَةِ سَرِيعَةٍ لَا إِرَادِيَّةٍ وَرَأَهَا ثُمَّ حَوَّلَتْ نَظَرَهَا إِلَى خَادِمَتِهَا
بَعْدَ أَنْ أَلْقَتْ بِشَوَاظِهَا عَلَى قَلْبِ الشَّابِ
مَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ وَلِمَاذَا أَتَتِ الْآنَ إِلَى الْبَحْرِ ؟
أَلَمْ يَتَأْخِرْ يَحِيَّ فِي الْخُروْجِ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ ؟
هَلْ تَأْخَرَتْ هِيَ أَيْضًا ؟ كَيْفَ حَدَّثَ هَذَا ؟
وَمَضَى ذَلِكَ الْيَوْمُ وَعَادَ يَحِيَّ إِلَى الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ الغَرْوُبِ
وَعِنْدَمَا بَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ يَتَحَدَّثُ فِيهِ مَعَ الْعَمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
تَذَكَّرَ قَصْتَهُ مَعَ أَصْحَابِهِ الْثَّلَاثَةَ وَتَذَكَّرَ الْفَتَاهُ فَخَفَقَ قَلْبُهُ وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ
وَشَعَرَ كَأَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَهَا الْعَذْبَ
" إِنَّهُ لَا يَرِيدُنِي ... إِنَّهُ لَا يَرِيدُنِي ... إِنَّهُ لَا يَرِيدُنِي "
وَتَطَلَّعَ إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي خَيْمَ عَلَيْهِ الظَّلَامَ كَانَ الرَّيْحَ سَاكِنًا وَالْبَحْرُ سَاكِنًا

وليس هناك من يضر بمجده وينشد وبقى واقفا لحظات تهجم
عليه خواطر شتى

كيف هجمت الفتاة على قلبه كيف تسللت إليه لقد أصاب قلبه ما كدر
صفاءه لقد تلوث قلبه بشهوة دنيوية إنه لم يعد ذلك الشاب الطاهر
النقي التوب إن قلب العبد الموصول بالله يجب أن يخلو من الصور
ولا يدع فيه مكانا لمثل هذه الفتاة

إن القلب الممتلىء بحب الله لا يتحمل أن يسكن فيه حب آخر
كيف سمح لها أن تلوث بساط قلبه بأقدامها
كيف سمح لها ؟

لولا لينه لما طمعت فيه ولكن لا

سيذهب غدا سيحدث الشيخ بكل ما حدث فعنه الدواء
ولم لا يحده ؟ إنه لا يفضي لأبيه ولا لأى إنسان قريب بما يفضي
للشيخ إنه يشعر بأن الشيخ منه بمنزلة الأب والأخ الكبير والصديق
الحميم بل أكثر من ذلك كله إنه المربي

وقف فى غرفته المطلة على البحر وأخذ يتطلع من النافذة كان الجو
باردا ولكن ليس شديد البرودة وأرسل طرفه إلى السماء إلى الكون
الكبير الساجد فى ذلك الليل المهيئ ونظر إلى النجوم التى تطرز
ثوب السماء ما أعظم الله وما أجله وما أحلمه على عبده العاصى
وأخذ يردد مع نفسه سبحان الله سبحان الله ثم أخذ يردد بها بهمس
وأحس بذلكها وعذوبتها فرفع بها صوته وشعر كأنها أخذت تكبر وتكبر
حتى أصبح الكون كله يستجيب لهمسه " سبحان الله سبحان الله "

لم يدرى كم بقى واقفا مستغرقا ملحا بروحه منصتا إلى هتاف
الكون بالتسبيح الذى هو صدى هتافه النابع من أعماق قلبه
ثمأغلق النافذة وسوى الستائر وألقى بنفسه على الفراش وراح يردد
مع نفسه أدعية النوم ويتفكر فى معانيها الكثيرة المتتجدة

ثم لفه النوم الهدى بين أحضانه ومع الآذان الأول من الفجر استيقظ
يحيى على صوت المؤذن كان صوته نديا رقيقا فيه الهدوء والسكينة
والجلال وظل يستمع إليه بكل حواسه دون أن يتحرك من فراشه
وشعر لكلمات الآذان معان قوية جديدة مؤثرة

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر من كل شهوات الأرض ومتاعها الفاني
الصلاوة هي الزاد الذي يتقوى به العبد في سفره إلى الله
فكيف يفلح من لا يصلى ؟

وترك هذه المعانى تتسرّب مع الصوت الهدى الذى ترفرف به
أجنحة الملائكة إلى أعماق قلبه وتسري مع دمه إلى منافذ جسمه
فيشعر بدبيب حياة جديدة وأخذ يردد باستغراق إيمانى عجيب :
" الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "

حتى إذا انتهى الآذان انتفض قائما وأسرع يتوضأ ثم ارتدى ملابسه
وفرش سجادته وأخذ يحلق في سماء السكينة والطمأنينة والخشوع
أخذ يقيم الليل يتربّن بالقراءان بصوته العذب الجميل

" أَمْنٌ هُوَ قَاتِنُ آنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ قَلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " [الزمر: 9]

فى مساء يوم الأحد لم يدرى يحيى كيف أدى صلاتى المغرب والعشاء
كان فى طريقه إلى البيت بعد صلاة العشاء كان القمر كئيبا حزينا
والهواء باردا وغيوم مبعثرة فى السماء
ما الذى حدث له ؟ كان فى السابق لا يصدق ما يروى عن مجنون
بني عامر وهاهو الآن يضع يده على باب سيارتها ،
لابد أنها وضعت يدها هنا

تلقت حوله .. هذه النخلة الباسقة التى يتوجهها سعف أخضر تنظر إليه

في صمت وهدوء تدغدغه الريح أحياناً فيسمع حفيتها كأنه يشبه
الهمس وتنهد وهو يستند بظهره على باب سيارتها الحمراء
ما الذي حدث لقلبه ؟

اشتدت الريح وبدا وجه القمر شاحباً لا أثر فيه للجمال
عاد يحيى يجر الخطأ وقلبه يتلفت إلى بيت الفتاة وعندما وصل
إلى البيت واحتوته الغرفة شعر بضيق شديد شعر كأن جدران الغرفة
تشدد الحصار على قلبه المهزوم
فأسرع يفتح النافذة وهرج الهواء وتنفس يحيى ملء صدره لم
يشعر إلا هو يردد ما كتبه له الشيخ على الورقة الصفراء في بدايه
تدينه وطلب إليه أن يردد كثيراً :
" رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين "

وبقى الهواء المغسول بماء البحر يرطب فؤاده فشعر بشئ من الراحة
ثم عزم على ألا يفكر فيها مطلقاً ..
لن ينهزم أمامها مرة أخرى

سيغسلها من قلبه سوف لن يدع لها أثراً على بساط قلبه
كانت أمه تسترق النظر إليه وتتألم تشعر أن ابنها هذا يعيش مشكلة
عظيمة قد أحاطت به ولا يستطيع التخلص منها ولكن ما هي هذه
المشكلة إنها تستطيع أن تتصور كل مشكلة يمكن أن يقع فيها إلا هذه
المشكلة !!

إنها عاصفة قوية قد هبت على قلبه فأشاعت فيه الحيرة والقلق
ولكنه أسدل إليها ستاراً من التصبر والتجميل محاولاً كتمانها وعدم
ظهورها للعيان ولكنها ظهرت رغم كل ما كان يبذل من مقاومة
أما أبوه فلم يلتفت إلى حاله فقد كان مشغولاً بالسوق طول يومه
حتى إذا ما عاد إلى البيت عاد متعباً منهوك القوى لا يود سماع شيء
يكدر على هدوءه وراحته
ولم يخف حاله عن أخيه الصغيرة الوديعة اللطيفة أسماء

فكان تنظر إليه وتتألم وتسأله في كل مرة : ماذا ألم بك ؟
فلا يجيب إلا بتنهيدة عميقة أو زفراة حارة أو يشيح بوجهه عنها
فتنتلقي وراء قطتها

كان يحيى قد استنفذ قواه ونال منه الجهد ولم يعد يحتمل مجاهدة
نفسه فقد استطاعت الفتاة أن تتغلغل إلى شغاف قلبه فاضطرمت
النار في أحشاءه وتغيرت حاله وصار لا يقر له قرار وشعر بوحشة
قاتلته و Yasir ولم يعرف كيف يداوى ما به ؟ !!

لم يعد له ذلك الهدوء اللطيف والطمأنينة التي يجدها في دروس
الشيخ وهو يستمع إلى حديثه الذي يملأ القلب نورا وبهجة وإيمانا
ويقينا وصار يتلوى على فراشه ليلا يصارع النوم ولا فائدة فقد حبس
في سجن الأرق والقلق وأصبحت صلاته خفيفة جافة ليس لها جذور
في القلب كأنها أوراق يابسة على شجرة في طريقها إلى الذبول
أخذ يحس في قعر قلبه بنار متاججة وإضطراب وتشتت ووحشة
وعرف السر الذي يدعو هؤلاء إلى انتهاك اللذات والإ إنغماس في
الشهوات ومقارفة المنكرات تكشف له سر ذلك كأجلٍ وأوضح ما يكون
إنهم يعيشون حياة جافة قلقة لا أثر فيها للهدوء والراحة
إنهم يسرون في طريق متغير شائك يهربون منه إلى طريق أشق منه
وأوغر كالمستجير من الرمضاء بالنار
تكشف له الآن كل هذا

ها هو الآن معهم يتختبط في م tahات الدنيا يبحث عن بصيص نور
ربانى يخرجه مما هو فيه
وبينما هو غارق في أحزانه يدور في دوامة أفكاره أخذت صور
 أصحابه الفتية الذين قضى شطر حياته معهم في المسجد وكان
الشيخ يحدثهم أخذت صور هؤلاء تتلاعّب عليه شباب أطهار يخشى
الواحد منهم أن يتكلم بالكلمة الواحدة إلا بعد تقليلها على وجوهاها

لئلا يكون فيها شئ من مساخط الله إنهم ينتقون أطايib الكلام
كما ينتقى الناس أطايib الشمر تجدهم يبكون فى مواعظ الشیخ
کأن النار لم تخلق إلا لهم

أما هؤلاء السادرون فى لهوهم وعبثهم فكأن الجنة لم تخلق إلا لهم
وتخييل أبا الحسين بوجهه المستدير وشعره القصير وهدوءه المعتاد
وابتسامته الخفيفة اللطيفة لقد اشتاق إلى دعابات أنس ومقالبه
المضحكه بصالح الأحمد لقد اشتاق إلى حلقة القرءان
ومواعظ الشیخ و ... ليلي

إنه لم يعد يدع الله أن يبعدها عن طريقه بل أخذ يتلهف لرؤيتها
وينتظر الساعة تلو الساعة لكي يراها وأخذ يتخييلها في حركتها
في مشيتها في ضحكتها في كل شأن من شئونها
ودوى آذان الفجر ينادي الناس إلى الفلاح والجنة
غادر يحيى بيته يمشي في الشارع المظلم

"بشر المشاعين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيمة"
وبعد صلاة الفجر تحلق المصلون حول الشیخ يستمعون إلى حديثه
وتحدث الشیخ عن منازل السائرين كانت كلمات الشیخ تسقط في
النفس كما تسقط النجوم في السماء كانت كلماته كالماء الزلال عصرته
العيون فخرج خالصا سائغا شرابه يرف بندى الحياة

وضرب الشیخ مثلا للسائرين إلى الله كجماعة أردو الصعود إلى جبل
فمنهم من تخلف في أول الطريق وقد هاله ارتفاع الجبل فانهارت
عزيزته ومنهم من أدركه التعب وهو لم يبلغ ربع المسافة

ومنهم من وصل إلى نصفه ولكنه تعثر فتدرج إلى الوادي فقد
يقوم هذا المتدرج ليعاود صعود الجبل وقد تقد به الهمة فيقعد
في مكانه الذي انتهى إليه والسعيد السعيد من استطاع أن يبلغ القمة
كان الشیخ يتحدث والجماعة المحیطة به تصفع إلیه إصغاءا تاما

وكان بعضهم يتنهى بحرارة وهو يقارن حاله بما سمع وكان مما يزيد من تأثير حديث الشيخ أنه لسان حاله وحاله ظاهر في لسانه فقد كان عفيفاً عابداً صواماً قواماً ذاكراً لله تعالى على كل حال رجاعاً إلى الله فيسائر الأحوال وقام عند حدود الله لا تقاد نفسه الكبيرة تشبع من العلم ولا ترتوى من المطالعة ولا تمل من قراءة القراءان مع الإهتمام بدعاوة الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنهد يحيى وهو يتصور حاله إنه لا يدرى أى مسافة قطع فاعتراضه هذه الفتاة وسدت عليه الطريق فهو يعمل جاهداً على تنحيتها عن طريقه والسير إلى الأمام

ونظر يحيى إلى الشيخ كالمستغيث وأراد أن يتكلم.

ما ضره لو سمعه الحاضرون ولكن لا إنه لن ينجو من تعليقات أنس الفتى الذي يحب الدعاية ويقصدها أحياناً هل يستطيع الشيخ أن يقرأ ما في نفسه لقد أخبرنا ماراً أن عثمان رضي الله عنه قال : ما أسر رجل سريرة في نفسه إلا ظهرت على وجهه أو فلتات لسانه ودخل رجل مرة على عثمان رضي الله عنه وقد نظر إلى امرأة لا تحل له فقال له عثمان :

يدخل على أحدكم وآثار الزنا في عينيه ولكن لا يعرف ذلك إلا المتوسّمون المتقوّن والمتقى يرى بنور الله لقد قال له الشيخ مرة وهو يربّت على كتفه : اتق الله يا يحيى

وكان في ذلك اليوم قد استرق النظر إلى فتاة من بنات الجيران ، تلك كانت نظرة واحدة واحدة فقط فكيف وهو اليوم صريع غانية لعوب ليست وغض على شفتيه عندما وصل إلى هذه النقطة آه لو كانت ملتزمة او تريد الإلتزام على الأقل لما تردد لحظة في خطبتها

ولكن ... إنها لا ترید أن ترتفع عن دنياها وتحلق معه على بساط
عبودية الله والزهد في متع الدنيا الفاني ولكنها ترید أن تنزله
إلى قاعها آه لو كانت ملتزمة

لم يشعر يحيى إلا والجماعة ينهضون ويد أنس تضرب على كتفه
الأيمن وهو يقول : اصح يا يحيى ،

لقد انتهى الشيخ من حديثه هذا اليوم فأين كنت سارحا ؟
وشد الشيخ على يد يحيى وغض يحيى بصره تحاميا لعيني الشيخ
وخشى أن يقرأ الشيخ ما في نفسه ولم يحدث الشيخ بما يريد
لماذا لم يحدثه ؟ أيخشى أن يسمعه أحد ؟

وعاد إلى البيت وهو ينقل الخطوة بتثاقل كان الجو باردا والرياح
بدأت تشتد وبرزت طلائع سحب في السماء وقد تكشفت الدنيا
وزال الظلام بعد أن صرעה نور النهار وأخذت الرياح تضرب بعض
أوراق الأشجار اليابسة المتتساقطة على الأرض فتسوّقها أمامها
لم يلتفت يحيى إلى البحر الهائج ولا إلى صف البيوت القرية منه
ولا إلى الذين يغادرون بيوتهم للدراسة والوظائف لم يلتفت إلى هذا
كله لقد كان يلوم نفسه يؤنبها إذا خفى أمره على الشيخ وعلى
 أصحابه فهل يخفى على الله ؟

شعر يحيى بحرارة الدموع وهي تنزل على خديه
ألا يستطيع أن يقف في وجه فتاة
فتاة !!!

وعندما وصل إلى البيت هرع يستنجد بالقراءان وجلس يقرأ بصوت
كسير وجيع كان يمر على آيات العذاب فيرددتها ويبكي ولما انتهى
من قراءته أقبلت أمه وتقول :
ما هذه القراءة يا يحيى ؟

رفع إليها نظره تجول فيها دمعة غفيرة متخلفة
قالت أمه : لقد كنت تبكي !

سكتت قليلاً عندما رأته يخفض رأسه ثم مضت حزينة على حاله
من أين لهذه الأم المسكينة أن تدرى ما في قلب يحيى ؟
ولو درت فهل تستطيع إعانته ؟

إنه لا يخشى على شئ كخشيتها على قلبه الذي أمضى في تصفيته
وتنقيته عدداً من السنين حتى رق ولان وأقبل على الله بكل حب
وشوق ورغبة لما أعد الله للمؤمنين الصالحين الصادقين فما الذي
قذف في طريقه بهذه الفتاة

كيف دخلت حياته من أي باب تسللت إلى قلبه ؟ !!
ولم ينتبه يحيى عندما كان جالساً على مائدة الفطور ،
لم ينتبه إلى أخته أسماء التي كانت تنظر إليه كالعصفورة الوجلة ،
تنظر إلى شروده وسهوه

لم ينتبه إليها وهي تقول : هل أنت مريض ؟!
ولما لم يجدها مدت يدها الصغيرة ووضعتها على جبهته تتحسس حرارة
جسمه فالتفت إليها وقال : مالك يا أسماء ؟ !!
فعادت تسأله دون أن ترفع يدها : هل أنت مريض ؟ !!
فحول وجهه وهو يغالب ابتسامة حزينة وقال : لا
ولما ألحت عليه قال وقد ضاق بالحاجها :
ألا تريدين أن تسكتي ؟!

فضربت بملعقتها على الصحن فرن رنينا دافئاً امتزج بأنغام ضحكتها
لم تقطعه وبرزت أسنانها كحبات اللؤلؤ المرصوص وقالت :
لا أسك

ونظر إليها بعتاب كأنه ضبطها متلبسة بمخالفة وقال : لماذا ؟
فاسترسلت بضحكتها وأسلوبها الطفولي وقالت : هل أنت مريض ؟!

قال : نعم .

قالت : ما الذى يجعلك ؟!

قال : قلبى يجعلنى !!!

فنهضت وهى تنفر برأسها الصغير وقالت :
سأريك بالدواء الذى تستعمله أمى .

وأمسكها من يدها وهو يقول :

إنه لا يؤلمنى بالمعنى الذى تفهمينه

وبعينين فيهما البراءة والوداعة والصفاء نظرت إليه وقالت بحنان :
كيف ؟

قال وهو يحاول أن يوضح لها ما يريد :
إنه فقط أصابه بعض الغبار

فضحكت ضحكة بدعة وهى ترتد برأسها إلى الوراء وقالت وهى
تحاول أن تخلص يدها من يده :

أخبرني كيف يستطيع الغبار أن يصل إلى القلب ؟

ترك يدها وهو يشاركها الضحك والقطة الكبيرة تدور في المكان
وتتموئ وأمه بنشاطها المعتاد تروح وتجيء تضع صحن الطعام
فلما تم إعداد المائدة أشار إلى أسماء ومد يده وهو يقول :

اللهم بارك لنا فيما رزقنا وقنا عذاب النار , بسم الله

لم يكن أمام يحيى سوى أن يغير طريق ذهابه وإيابه إلى الجامعة
لكى يتتجنب رؤية الفتاة سيسلك الطريق المعاكس وإن لم يتعد
على سلوكه من قبل ولكن ما العمل ؟

ومضى في الطريق المعاكس فرأى كثيرا من الأشخاص الذين يعرفهم
ولم يرهم منذ زمن أخذوا يشيرون عليه بالسلام فيرد عليهم مبتسمـا
ومر بأبي يوسف المهندس حاملا طفله يوسف وهو واقف أمام بيته
كان طفله قد تماطل للشفاء ابتسـم له يحيى وهو يسلم عليه

كانت بعض الأشجار قد خلعت أرديتها وأخذت تتهيأ لاستقبال الربع
ومضى يحيى وحمد الله على السلامة

فقد مر اليوم الأول والثاني والثالث دون أن يراها ولكن صورتها لم
تغادر خياله وفي كل يوم يزداد شوقاً وتلهفاً والمكان الذي احتلته
في قلبه بدأ يتسع ولكنه كان يقاوم ويحاول أن يأفوي جراح قلبه
لم تتسرّط الأقفال كلها كما قال عmad فقد استمر يحيى يقاوم
مقاومة الأبطال ولكن هل يثبت وهو الفتى الذي لم يجرب حيل النساء ؟
وعادت قصة يوسف عليه السلام تتمثل أمامه كما سمعها من فم الشيخ
شاب في عز قوته وفتوته وجماله تدعوه امرأة نبيلة عزيزة جميلة
فيقول لها وبكل إباء : معاذ الله

ويسجل القرءان موقفه هذا بحروف من نور ترددتها الأجيال إلى قيام
الساعة وكلما استجدت حادثة مثلها أو قريباً منها.

"إِنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ "

خاطب يحيى نفسه وهو يكاد يتمزق من الألم :

لقد نجى الله يوسف عليه السلام لأنّه كان من المخلصين فلا بد أنّي
لم أكن من المخلصين , كيف يستطيع يوسف عليه السلام أن يصبر ؟!
وكل شئ كل شئ حتى الجدران الأربع , الأبواب الموصدة ,
المراة العاشقة تبذل له كل شئ تتودّد إليه تتنزّين له تتسلّل تتعرّج
عند قدميه ولكنه قال كلمته : معاذ الله

أى قوة إيمانية كان يتمتع بها عليه السلام لا بد أن يكون ما قام في
قلبه من محبة الله وإجلاله أعظم وأكبر مما تستطيع امرأة مهما
بلغت من الحسن والحيلة والدهاء أن تصل إليه أو تناول منه لقد
غسل قلبه من هذه المرأة وملاه بنور الله فهو دائم التحليق عالياً عالياً
لا ينزل إلى الأرض إلا بمقدار ما يتناول منها ما يعينه على الصعود
تدحرجت دمعة ساخنة على خده خفتت من نار الحزن الذي يتآجج
في صدره

ومر يوم ويوم ، وبعد صلاة العصر من أحد الأيام رأى يحيى أن يذهب إلى المقبرة ليستمد من صمت القبور موعظة بلية تعينه علىمواصلة السير كيف وصل المتقوون إلى ما وصلوا إليه إنه يتذكر عندما ذهب مرة في بدايه تدينه وقرأ بعض ما كتب على القبور قد أمدته هذه الزيارة بطاقة إيمانية دفعته إلى مضاعفة الجهد ومواصلة السير لا سيما عندما إلتفت إليهم الشيخ وقال لهم :
ترى ماذا يتمنى صاحب هذا القبر ؟!
فرد عليه يحيى قائلاً :

إنه يريد أن يرجع إلى الدنيا فيتوب ويستغفر ويكثر من الصالحات
قال الشيخ : إن لم يكن هو فلن أنت ليذهب اليوم هناك لعل هذه الزيارة أن تغسل من قلبه صورة الفتاة في مساء اليوم الرابع ذهب يحيى بعد صلاة العشاء إلى بيت صاحبه سليمان وكان مجلسه عامرا بالإخوة حيث يشاهدون شريط فيديو عن أحوال المسلمين المضطهدين وأخبار المجاهدين وبطولاتهم فيجمعون التبرعات لتوصيلها إلى ديار الإسلام المنكوبة كان يحيى لا يملك نفسه وهو يشاهد المجازر التي ترتكب ضد المسلمين الأبرياء كان يجهش بالبكاء ويتمن أن يكون مثل أولئك الأبطال الذين يرفعون الذل عن أمتنا

تأخر يحيى ذلك المساء في بيت سليمان فلما خرج كانت السماء قد ادلهت بالغيوم وأخذت ترسل رذاذا خفيفا لطيفا وكان السماء تداعب وجه الأرض ولكنه ما لبث أن ازداد المطر أسرع يحيى إلى منزله خشى أن يدركه المطر فينزل ثيابه وقبل أن يصل إلى البيت بخطوات

برزت من زاوية مظلمة امرأة قد التفت بعباءتها وقالت بصوت هادئ :
هل تسمح لي يا سيدى ؟ إن سيدتى ليلى تود أن تراك

لقد ظن يحيى أنه تخلص منها إلى الأبد
لقد ظن أنها لن تعترض طريقه مرة أخرى
ولكن هاهي خادمتها تأتى لتدكره بها لتجذبه إليها
قال يحيى وقد تملكه الغضب : ماذا تريدين ؟!!
ولكن الخادمة بقىت مكانها وقالت بصوت خفيض ينم عن التأثر
والحزن العميق: إنها تريد أن تتوب
صعق يحيى ووقف مشدوها فترة ثم قال وكأنه يريد أن يتتأكد
من الكلمة فلعله لم يسمعها جيدا : ماذا ؟
قالت : إنها تريد أن تتوب
أحس يحيى بالإستغراب الممزوج بالفرحة وقال وكأنه لا يصدق
ما سمع : وما الذى يمنعها من التوبة ؟ إن الله يبسط يده بالليل
ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهاز ليتوب مسئ الليل وذلك
حتى تطلع الشمس من مغربها
قالت الخادمة وهى ترفع رأسها الذى تساقط عليه الرذاذ :
إنها تريد أن تبوح لك بسر .
ازداد نبض قلب يحيى وقال وهو يحرك شفتيه :
سر ، ولماذا أنا بالذات ؟
قالت : إنها لا تثق إلا بك
لم يشعر يحيى إلا كما يشعر السابح الذى ألقى فى اليم فنال منه
الجهد والتعب وأخذت الأمواج تتقاذفه إلى حيث يشتهى ولا يشتهى
انتبه يحيى لنفسه نظر إلى ساعته : الساعة الحادية عشرة والنصف
لقد تأخر الوقت ، آسف لن أستطيع المجئ
ردت الخادمة وكأنها تعلم جوابه سلفا :
لا بأس ، سنتظرك غدا فى بيتها أرجوك يا سيدي لا تتأخر عنها ،
إنها تريد أن تتوب على يديك

ثم مضت

أخذ يحيى ينظر إلى خيال الخادمة وهي متوجهة إلى بيت ليلي :
تريد أن تتوسل على يدي !!

كلا لقد نصحني الشيخ : لا تخلون بأمرأة ولو كنت أعلمها القراءان
لقد قالها مرارا قد يعزف الرجل عن كل نساء الدنيا ولكن امرأة واحدة
 تستطيع أن تتخلل إلى قلبه وتحتل منه مكانا فلما تغادره أبدا
 كلا إنها خطوة من خطوات الشيطان

ولكن ، ولكن إنها تريد أن تتوسل يجب ألا أضيع هذه الفرصة
 سأكون قويا ، نعم سأكون قويا لن أضعف أمامها نعم لن أضعف
 سأكون قويا سأكثر من ذكر الله سأقرأ جزءا كاملا من القراءان
 قبل أذهب إليها لأكون قويا ثابتا

استيقظ يحيى في اليوم التالي بعد آذان الفجر بمدة طويلة
 وسابق قرص الشمس في الصلاة واعتبر هذا دليلا للهبوط في إيمانه
 وجعله يعيid النظر في نفسه لقد كان اختبارا صعبا جدا هل يصمد
 أمام الفتاة أم ينهزم ؟!

ومضى متصف اليوم ويحيى ليس بيحني
 لم يشعر إلا وهو يقف أمام بيتها في نهاية الشارع وكان الوقت
 قد قارب المغرب ورفع يده بطرق الباب وازدادت دقات قلبه
 إنه يريد طرق بابها ولكنه توقف وأخذت يده تهبط بهدوء حتى
 استقرت إلى جانبه ثم استدار عائدا من حيث أتي ومشى خطوات
 بطيئة ثقيلة متهملة ثم وقف لقد شعر بشئ خفى يشده إلى الخلف
 إلى بيت الفتاة إلى بيت ليلي إلتفت يحيى ينظر إلى البيت هذه
 نخلة باسقة تقف أمام الباب باعتزاز وقد تعلقت الشمس بجدائلها
 كيف لم يرها من قبل ؟
 وهناك أطفال يلعبون بالكرة يتقادرون بها في الساحة أمام المسجد

وصبية صغيرة ترتدى ثوباً أزرق تنتشر عليه خطوط بيضاء تشير إلى جانب أمها وهى تنظر إلى الأطفال وتضحك وطفلاً أسمر أطل من النافذة وقد أرسل تفاحة ربطها بخيط وأخذ يأرجحها فهو يتسلى بهذه اللعبة.

السماء تبدو صافية كان كل شئ فى هذا المكان يبدو إليه جميلاً ومحبها البيوت المتلاصقة على الجانبين الأزهار المطلة من الشرفات والدكان القديم الذى يقع عند المنعطف والأطفال وبيت ليلى بيت ليلى !!

وعاد مرة أخرى وقد عزم على أن يطرق الباب لقد أيقظت هذه الأحلام مشاعره وزادت رغبته وملأت حواسه فأقبل ملهوفاً يريد أن يطرق الباب ولكنه قبل أن يتقدم إلى الخطوة الثالثة تذكر تذكر حديث الشيخ بالأمس كان الشيخ يتحدث إليهم وعيناه تتلقان بنور الإيمان ونظراته تنفذ إلى أعماق القلوب تذكر جماعة المسجد تذكر عبدالله بن إبراهيم ومحمد السعيد وأبا الحسن وسلمان الندي وخالد النوري كلهم كانوا يستعملون إلى الشيخ أما هو فقد استطاع أن يتحاشى النظر إلى الشيخ لثلا يفتخض وتذكر كيف ضرب الشيخ مثلاً للسائلين إلى الله ترى أين مكانه ؟!

هل هو في حال المتدرج من الجبل ؟ وإلى أين وصل ؟
أتوقف هذه الفتاة في طريقه إلى الله ؟

انتبه يحيى لنفسه كيف وصل إلى بيتها !!
كيف جره الشيطان إلى هذا الطريق ؟ كيف !؟

غضب وأخذ يكلم نفسه : لابد أن أنصحها نصيحة شديدة أن تتقى الله ولا تترج سأقول لها وبكل صراحة : لا تفتني الشباب بجمالك ارجعى الله قبل أن يأتيك ملك الموت فإن أرادت أن أدخل بيتها

فـسأقول لها بكل ثبات معاذ الله نعم سأقولها بكل قوة
أسرع يحيى الخطى نحو الباب وطرق الباب وانتظر
انتظر طويلا فلم يفتح الباب وطرق مرة أخرى وتمنى لو سمع صوتا
أى صوت فلم يسمع إلا شقشقة العصافير على النخلة الباشقة
التي تجاوزت فى ارتفاعها سطح الدار
وأراد أن يعود من حيث جاء ولكن تذكر أن الطرق المشروع
ثلاث مرات وقد طرق مرتين
ورفع يده

كانت ليلى قد أبصرت يحيى عندما أقبل وهى تقف وراء الباب
تنظر إليه من ثقب صغير
فلما طرق يحيى الثالثة انتظرت حتى هم بالإنصراف ثم فتحت الباب
وَبَدَثْ له...

وفاح من داخل البيت رائحة المسك الزكى وبصوت كالهمس قالت :
تفضل وتركت الباب مفتوحا وتقدمته إلى غرفة الإستقبال
ذهل من هذا الجمال الفائق ومن هذه الرائحة الزكية كل شئ أراد
أن يقوله تبخر مع أول نظرة
وأخذ يتقدم بخطىء بطيئة كالنائم وصدره يعلو ويهبط
لم يشعر إلا وهو في الداخل أشارت إليه ليلى بكل رقة تدعوه
إلى الجلوس ثم تركت الغرفة وعادت بعد قليل وحملت إليه في
صينية صغيرة قدحا من الرمان وأمام هذا نسى حديث الشيخ نسي
كل شئ وأصبح لا يعيش إلا هذه اللحظة ولا يدرى كيف امتدت يده
إلى القدر

وهل كان ينظر إلى القدر أم إليها ؟
كان ينظر إليها كالمسحور ولم ينتبه إلا على صوتها وهى تصيح :
انتبه العصير

كانت يده قد مالت بالقدح وكاد العصير أن يتبدد على ثوبه ونسى
يحيى الغرض الذي جاء من أجله ولم يشعر إلا وهو يقول لها بصوت
خافت متقطع : كيف حالك ؟

- بخير (ثم ابتسمت وقالت) وأنت كيف حالك ؟
فقال بعد أن أحمر وجهه وابتلع ريقه :

- أخبرت أنك تريدين رؤيتي

- نعم

- ماذا تريدين ؟

ابتسمت ابتسامة ملأت وجهها زادت من دقات قلب غض بصره
وبقى صامتا لحظات والقلوب تتحدى بدقائقها الرتيبة أخذت تنظر
إلى وجهه الجميل فقالت هامسة :

أنت تحبني أليس كذلك ؟!

نظر إليها كالمسحور وقال بصعوبة : نعم
- وأنا كذلك

كان لا يزال يحمل القدح بيده عندما قالت :
لقد صنعته لك .

قال بنفس الصوت الخافت الحالم :
وما يدرك أنني سأجيئ ؟

قالت وهي تشير بأطراف أناملها المخضبة :
قلبي حدثني ، أنت لا تطيق فراقى أليس كذلك ؟!
ورفع القدح إلى فمه وأدنت كرسيها وهي تقول :
اشرب أنا صنعته لك بيدي

ومدت يدها تريد أن تسقيه اقتربت من يده لم تبق إلا مسافة قصيرة
قصيرة جدا
وفجأة

الله أكبر الله أكبر الله أكبر
ارتفع صوت المؤذن لصلوة المغرب
ألقى يحيى بالقدح وكأنه أصيّب بلدغ ونهض وهو يقول :
إنى صائم

لم تعرف ليلي ما تجib
أسرع يحيى نحو الباب وهو يردد :
يجب أن أنصرف يجب أن أنصرف

خرج يحيى والدنيا تميل به ولا يدرى كيف قادته قدماه إلى هنا
اهتزت النخلة طربا وهى تودع يحيى
لقد نجاhe الله

رفع يحيى رأسه إلى السماء وإذا بالقمر يضحك إليه مهنيا شعر
بأن الجدران والبيوت والدنيا , الدنيا كلها ترحب به
إنه يريد أن يرى الشيخ أن يجلس بين يديه أن يعترف بتقصيره
كان الطريق طويلا والمنعطفات كثيرة والبيوت تقف على الجانبين
والشارع خالي من المارة

أسرع في السير إنه يريد الوصول إلى المسجد إنه يريد أن يعود
إلى سابق عهده أن يعود إلى الله بقلب خاشع منيب
لم يكن يظن أن يستطيع أن يفارق أحدا من أصحابه لم يكن يظن
أن يستطيع أن يبتعد عنهم كيف ابتعد عنهم كل هذه المدة لقد كان
في رحلة خطيرة المحظوظ فيها من يعود منها سالما
لقد كان صغيرا يوم بدأ يعتاد المساجد وكان صغيرا يوم أخذ يتردد
على مواعظ الشيخ كان أبو الحسين يطرق عليه الباب كل يوم عند
آذان الفجر يوقيطه للصلوة ثم يتحلقون لقراءة القرآن وتعلم التجويد
وبعد الشروق يصلون ركعتين ثم يذهبون إلى مطعم بيان للإفطار
إنه يتذكر تلك الأيام وتلك اللحظات لقد كانت أياما جميلة لن ينساها

أبدا لن ينسى شباب المسجد. لن ينسى معاذ الفتى الأسمرا الطويل
الذى لم يترك صيام الإثنين والخميس لقد أمضى سنوات طويلة
وهو يحاول العثور على فتاة لكي يخطبها لنفسه فلم يوفق لأنه
لم يجد الفتاة التي تتناسبه

لن ينسى محمد الفتى اللطيف الوديع الذى يدرس الطب والذى كان
يراه يمشى فى ساحة المسجد ذهابا وإيابا وهو يحاول حفظ سورة
التوبه لن ينسى أنس ودعاباته التى لا تنتهى وروحه المرحة
ومشاريعه الكثيرة التى كان يبنيها فى الهواء وحكاياته عن أمه
وكم مرة تخطئ فى العد كان مع روحه المرحة كان لا يملك نفسه
فى مواعظ الشيخ فقد كان ينفجر فى البكاء

لن ينسى أبا عبدالعزيز وسمته الهايدى ودروسه الفقهية التى تعلمها
فى جامعة الإمام محمد بن سعود فى الرياض
لن ينساهم أبدا أبدا ،

كانوا يحيطون به ويحبونه بل ويراه بعضهم قدوة له ويتمنى
لو بلغ مبلغه.

أى استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير
ومضى يحيى يريد أن يصل إلى المسجد قبل انقضاض الجماعة
من صلاة المسجد إنه لا يريد أن يخرج الشيخ من المسجد قبل
وصوله تمنى لو استطاع أن يطير وتذكر العم أبا عبد الله القحطانى
والذى وقف مرة يخاطبه وهو يقول : ليتني نشأت فى طاعة الله
كما نشأت يا يحيى هنئا لك ثم رفع المنديل ليمسح دمعة ترقرقت
بها عينه ثم قال : ليتني أرزق بابن مثلك
إنه لن ينسى هذا

لن ينسى والده وكان يتمتم بعد صلاة الفجر ويقول :
الحمد لله الذى رزقنى ولدا صالحًا تصل دعواته إلى قبرى

وأمه الحزينة التي كانت تنظر إليه وتبكي بصمت والتي سمعها قبل أيام تقول لأبيه بصوت خافت :

لا أدرى ما الذي جرى ليحيى كلمه يارجل كلمه لعله يحدثك وأخته الصغيرة أسماء لم يعد يداعبها ولا يسألها عن قطتها حتى شكت إلى أمها وقالت : لماذا لا يكلمني يحيى ؟ هل هو مريض ؟

والشيخ الحبيب إنه يحبه كثيرا كان لا يمل من سماع حديثه كان يرحب بالمزيد المزيد وهل لدى الشيخ إلا كل نافع مفيد كان يتحدث وكأنه يغرف من بحر ليس له ساحل إنه في طريقه إليه

سيقص عليه ما جرى

سيقول له

ماذا سيقول ؟

ورأى المسجد أمامه ببناءه القديم وماذنته المتواضعة وتقدم خطوات بطيئة متعددة لقد شعر كأن حجارة المسجد تنظر إليه بتعاب وكان جدرانه التي تتطلع إليه في صمت قد فرحت بقدومه إن هذا المسجد يعرفه إن كل حجر فيه يعرفه كم مرة حضر إلى المسجد قبل أن يحضره أي إنسان كم مرة قضى الساعات الطوال قائما مصليا أو قارئا للقراءن أو ذاكرا لله تعالى كم مرة اعتكف فيه ليهذب نفسه ويصفى روحه من شوائب الدنيا لقد كان مكانه في الصف الأول من صلاة الجماعة ومع التكبيرة الأولى وهاهو اليوم يدخل هذا المسجد تائبا نادما بعد أن زلت قدمه في وحل الذنوب إنه يشعر أنه كان غائبا عن المسجد فترة طويلة ثم عاد مرة أخرى هذه الشجرة الكبيرة في ساحة المسجد في مكانها لم تتحرك والمصابيح المضيئة وحديقة المسجد الجميلة بأزهارها الملونة المتناثرة في أرجاء الحديقة وخدم المسجد الباكستاني سيد محمد وهو يسقى الحديقة لم ينتبه ليحيى

تقىد يحيى كان المصلون قد خرجن ولكن لم ييأس
فلعل الشيخ أراد الإعتكاف بين المغرب والعشاء وتعدى باب المسجد
وهو يقدم رجله اليمنى وهو يقول :

بسم الله اللهم صل على محمد اللهم افتح لى أبواب رحمتك
أحس بشعور غريب وكأنه لأول مرة ينتبه لمعانى هذا الدعاء العظيم
اللهم افتح لى أبواب رحمتك

إن أبواب رحمة الله مفتوحة دائمًا لم تغلق في ساعة من ليل أو نهار
فأين التائبون الآيبون النادمون

لاح له المحراب وكأنه يعاتبه على طول غيبته تلفت يحيى
وإذا برجل مستند بظهره إلى الدعامة الوسطى من المسجد اقترب منه
يحيى ... اقترب أكثر

فقال له الرجل المستند دون أن يلتفت : وأخيرا عدت يا يحيى ؟
فوجئ يحيى إنه الشيخ كيف عرف أنه سيأتى ؟! هل كان فى انتظاره ؟
رفع الشيخ رأسه وإذا بوجهه المستنير بنور القراءن وآثار العبادة
تبعد عليه نظر الشيخ إلى يحيى نظرة الوالد الرحيم وتقدم يحيى
خجلا متربدا وكأنه يحمل أوزار الدنيا

اقترب منه وسلم عليه جلس أمامه مطرقا شعر يحيى بيد الشيخ
توضع على كتفه وسمع صوته المضمخ بعبير القراءان وهو يتلو :
" قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " [الزمر: 53]
هش قلبه لهذه الآية وشعر بأنه يسمعها لأول مرة
شعر بأن المسجد يهتف بالآية مهنيا ..

كل شئ فرح بتوبته وسر بعودته حتى الكتب الموضوعة في المكتبة
التي طالما قرأها حتى النخلة الواقفة هناك كل حجر في هذا البناء
الطاهر استقبله بفرح وسرور حتى المحراب فتح له ذراعيه

أراد يحيى أن يقول شيئاً أن يتكلم أن يقص على الشيخ كل ما جرى
ولكنه لم يستطع لقد تحولت كلماته إلى دموع ارتمى على الشيخ
يحتضنه باكيًا وعاد الشيخ بصوته الهادئ الوقور يتلو
"وَإِنِّي لَغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" [طه: 82]
في ليلة الخميس دخل عماد على ماجد وهو مسند وجهه على راحتيه
تبعد عليه علامات الكآبة
- ماذا بك يا ماجد ؟

لم يجب
اتكأ على الكرسي القريب منه ووضع يده على ظهر ماجد وهو يتأمل
وجهه : ماذا بك يارجل ؟
فقال وكأنه ينتزع الكلام انتزاعاً : لقد فر منا حسن
تفاجأ عماد وقال : ماذا تعنى ؟
رد ماجد حزيناً : لقد رجع إلى جماعة المسجد كما كان سابقاً
صرخ عماد غاضباً : كيف ذلك ؟
أجاب ماجد : مررت قبل المغرب بالشارع الذي يمر بالمسجد فوجدت
الشيخ يعظ حسن وهو يربت على كتفه وحسن غارق في البكاء ثم
مررت في طريقى حتى لا يراني الشيخ
وبعد العشاء كنت جالساً في البيت فدخل على حسن وقد احمرت
عيناه وتغير لونه وأخذ يمشي بخطوات ثقيلة حتى وقف عند الطاولة
وسط الغرفة نظر إلى طويلاً فقلت له : ما بك يا حسن ؟
اغرورقت عيناه في البكاء وهو يقول : أما آن لنا أن نعود إلى الله
أما آن لنا أن نستغفر ونتوب لابد ان نهجر ماضى السوء
فقلت له : ما الذي كان يحدثك به الشيخ عند المسجد ؟
فقال : لقد انتشلني من مستنقع الشهوات لقد كنت ميتا فأحياني الله
به كنت أعمى فبصرني الله به كنت ضالاً فهدانى الله به

صرخ عماد غاضبا : لا عليك ، سيعود مرة أخرى ،
سنغريه بالليلالي الحمراء

قال ماجد بصوت هادئ : هذه المرة لا أظن.

قال عماد بلا مبالاة : ليذهب إلى الجحيم لا حاجة لنا به

ثم ألقى بنفسه على الأريكة وهو ينقر على الطاولة القريبة بشكل رتيب
ثم قال : أين أسامة ؟

لم يجده ماجد

كرر عماد سؤاله : أين أسامة يا ماجد ؟

أجاب ماجد وهو مطأطاً الرأس : ذهب معه

صعق عماد وقال : مع من ؟

أجاب ماجد : مع حسن إنهم ي يريدان السفر معا .

نهض عماد من مكانه وهو يصبح : السفر إلى أين ؟

هز ماجد رأسه وهو يقول : لا أدري

أسرع عماد نحو الباب ثم وقف وقال : وأين هو آلان ؟

أجاب : عند بيته يضع حقائبه في سيارته .

وبينما أسامة عند سيارته الجيب السوداء إذ بشخص متوجه نحوه

مسرعا وإذا به عماد فسألها وهو يلهمث : إلى أين يا أسامة ؟

أخذ أسامة يرتب أغراضه داخل السيارة وقال دون أن ينظر إليه :
إلى مكة .

فسألها عماد مستغربا : ماذا تفعل في مكة ألن تسافر معنا إلى فرنسا

هذه العطلة ؟! لا تهتم تكاليف سفرك على

أجابه أسامة بكل هدوء : يا عماد العمرة إلى العمرة كفاره لما بينهما

قال عماد : ماذا تعنى ؟

فأجاب : لقد سئمت حياة الذنوب والمعاصي

وآن الوقت الذي أعود فيه إلى ربى تائبا منيبا

قال عماد وهو منفعل : وهل ستركتنا ؟
وضع أسامة الحقائب في السيارة ثم أمسك بباب السيارة ووقف برهة
ينظر إلى الأرض ثم قال : نعم .
صرخ عماد دونوعي : لماذا ؟
لماذا يا أسامة هل آذيناك أو ضايقناك في شيء ؟
وقف أسامة وصدره العريض يعلو ويهدأ وقد بدا قويا رائعا في
تناسق جسمه ولون وجهه وقال بصوت هادئ : لقد قضيت ما مضى من
حياتي عبدا للشهوة فأردت أن أقضى ما بقي منها عبدا لله
هتف عماد وهو يمسكه من يده : ما الذي يمنعك أن تعبد الله
وأنت معنا ؟

فأبعد يده بلطف وقال : أريد أن أحجر الماضي بكل ما فيه
من تعasse وذنوب ومعاصي فإن أردتم أن نعبد الله سويا فهيا معنا
أما إن أبيتم فهذا فراق بيني وبينكم
فاستعطفه عماد بنظراته قائلا : منذ متى وأنت تعيش في هذه الأفكار ؟
فقال : من يوم التقيت بالشاب العابد الزاهد يحيى ومضى يتكلم عنه
بصوت عميق النبرات يوحى بشدة تأثره : أنت لا تدرى أى شاب هذا ؟ ..
كنت أنظر إليه من بعيد فأراه كأنه ذهب إلى الآخرة واطلع على
ما فيها ثم عاد إلى الدنيا فهو دائم الرغبة والرهاوة لا تغاجره صور
المعذبين في النار ولا صور المتنعمين في جنات النعيم إنه شاب
لا يعرفه كثير من الناس

سكت أسامة برهة ثم مضى يقول :
منذ التقيت به لأول مرة وأنا افكر في الكلمات التي قالها لي
" أنت تعلم يا أسامة أني أحب لك الخير فاتق الله واجتنب المعاصي ..."
الناس في غفلة فإذا ماتوا انتبهوا " فكرت في نفسي وفكرت فيك
وفكرت في يحيى هذا الشاب الذي يملك المال والقوه والجمال

منِ النساء لا ترحبُ في يحيى؟ ولكن الشاب النظيف لذى لا يدع
شيئاً يلوث قلبه الأبيض لا يغرنك بعض ما ترى من نزوله فإنه
لا ينزل إلا ليعلو ولا يدنو إلا ليبتعد ولا يهبط إلا ليحلق إنه يحاسب
نفسه بعد كل هفوة يرتكبها ولا يزال بنفسه حتى يقيمه على الجادة
البيضاء

وسكت أسامي وظل صدره العريض يعلو ويهبط كان يبدو كالبركان
الذى ضاق بالنار المتاججة فى صدره فأراد أن يقذفها
قال عماد : ولكن يا أسامي

فقطاعه بحدة وقال : اسمع يا عماد لقد تاقت نفسى إلى ما عند
الله تعالى من نعيم وزهدت فى متع الدنيا الفانى
وعاد عماد يقول له مرة أخرى : يا أسامي
فقطاعه : لن تنفعك أموالك فى قبرك يا عماد ستزول الشهوة وتبقى
الشقاوة

صرخ عماد وقد اعتبراه الغضب : هل نسيت صداقتنا وأيامنا الجميلة ؟
ابstem أسامي ابتسامة المستهزئ وهو يقول : إنها صدقة شيطانية
وأيام مظلمة لقد تبنت إلى الله ولن أعود إلى حياة المعاصي مرة أخرى
لقد قطعت التذكرة وسأسافر مع حسن غدا إنني مهاجر إلى ربى
وأسأله أن يغفر لي ما مضى من الذنب

وفي منتصف ليلة الخميس انطلق عماد وماجد بسيارة عماد الشبح
إلى فندق هيلتون لحضور حفلة غنائية كانا يسيران بسرعة كبيرة
وعندما وصلا إلى المنعطف انزلقت السيارة ثم ارتطمت بعامود كهربائي
وقتلا على الفور ماتا وهما ذاهبان إلى معصية
ولا حول ولا قوة إلا بالله نسأل الله حسن الختام
أما حسن فهو الآن مدرس للتربية الإسلامية في ثانوية الرشاد
وأصبح قدوة للتلاميذ والزملاء

وأما أسامة فهو الآن يكمل دراسته العليا في كلية الشريعة الإسلامية
قسم العقيدة

أما ليلى فقد سافرت مع أبيها إلى فرنسا وعزمت على البقاء فيها
خمس سنوات لتنسى الماضي وتداوى جراح قلبها ولتملاً وقتها
بمساعدة أبيها في مراجعة الحسابات ومتابعة الأمور المالية لشركاته
في فرنسا

أما يحيى فقد اختار لنفسه طريقا آخر لقد وثب إلى الدرجات العلي
والنعم المقيم حيث لم يستطع أن يهناً بنوم ولا يلتجأ ب الطعام
وأبناء القردة والخنازير يلطخون ساحة المسجد الأقصى الشريف
بأهدائهم القدرة ويكسرون عظام إخواننا المسلمين ويقتلون الأبرياء
والشيوخ والأطفال لقد استطاع أن يأخذ فيزا لدخول إسرائيل
ومما سهل له ذلك حصوله على الجنسية الأمريكية وبالتنسيق
مع كتائب عز الدين القسام استطاع تنفيذ عملية تفجير قتل من جرائتها
أكثر من 60 نجم يهودي وانطلق يحيى في حواصل طير خضر
يسرح من الجنة حيث يشاء يحلق مع إخوانه الشهداء نحسبه كذلك
ولا نذكره على الله

لقد خير يحيى بين عشق القدس وعشق ليلى فاختار عشق القدس
وارتمى في أحضان الأقصى الشريف بيت إليه أشجاره

... يحيى بين القدس وليلي ...



يحيى بين القدس وليلي

فاحذر كل الحزر من صربي لا يري في وجهه خير
وتمسّك بصربي صالح ينصحك ان غفلت ويعفو عنك ان اخطأت

لا أحد يستطيع أن يزيل قرمدك عن الطريق المستقيم
إلا صربي سوء، يتقرب منك ليخر جنك من حلاوة الإيمان إلى قاع العاصي والعياذ بالله
فاحذر كل الحزر من صربي لا يري في وجهه خير، احذر من الصربين
يلاعبك بسموم لسانه فإنه يخفي في قلبه عراوته لك
وتمسّك بصربي صالح ينصحك ان غفلت ويعفو عنك ان اخطأت

شيماء سبيع تهامة